

محمد إبراهيم أبو سليم

بين الوثيقة والتوثيق

الطبعة الأولى 2022م



محمد إبراهيم أبو سليم - بين الوثيقة والتوثيق - إشراف: أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شيا

القارئ الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمة للبحث العلمي في مجال الدراسات والبحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تضمن دار آريثريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتمع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائماً - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arrithria for Publishing and Distribution

سلسلة الدراسات التوثيقية (4)



محمد إبراهيم أبو سليم

بين الوثيقة والتوثيق

إشراف

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبا

الطبعة الأولى - 2022م

الكتاب : محمد إبراهيم أبو سليم .. بين الوثيقة والتوثيق
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود

حقوق النشر محفوظة للدار

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الدار.

إن دار إريثريا للنشر والتوزيع غير مسؤولة عن آراء المؤلفين وأفكارهم، وتعتبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلفين ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.



دار آريثريا للنشر والتوزيع

Arrythria for Publishing and Distribution

جوال : 00249910785855 - 00249121566207

arithriaforpublishing@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(سورة النمل - الآية 30)

الفهرست

الفصل الأول:

7 قراءة في المسيرة العلمية والمساهمات الفكرية للبروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم

الفصل الثاني:

17 نظرات ومراجعات في جانبٍ من تراث العلامة أبو سليم

الفصل الثالث:

إسهامات علماء السودان في كتابة التاريخ

39 (بروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم أنموذجاً)

الفصل الرابع:

46 تاريخ الدولة المهدية من خلال كتابات أبو سليم

الفصل الخامس:

الآثار الكاملة للإمام المهدي دراسة في المحتوى والمحتويات على ضوء ماجمعه

61 البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم

الفصل السادس:

81 جهود دار الوثائق السودانية في عملية جمع وحفظ المخطوطات

الفصل السابع:

94 بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم إدارياً

الفصل الثامن:

102 بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم ومنهجه في كتابة التاريخ

الملاحق:

110 مريثة: في رثاء أبوسليم

الفصل الأول

قراءة في المسيرة العلمية
والمساهمات الفكرية للبروفيسور
محمد ابراهيم أبوسليم

قراءة في المسيرة العلمية والمساهمات الفكرية للبروفسور محمد ابراهيم أبوسليم

أستاذ التاريخ المشارك - مركز بحوث ودراسات
دول حوض البحر الأحمر - السودان

د. أحمد سمّي جد محمد النور

مقدمة :

لقد تشرفت أيما تشريف بمعرفة العلامة البروفيسور محمد ابراهيم أبوسليم طيب الله ثراه، عندما كنت طالباً مسجلاً بكلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم، لنيل درجة الماجستير في التاريخ، تحت عنوان (تاريخ العلاقات السودانية - التشادية 1821-1956م)، خلال الفترة 1994-1997م. وقد عاصرته أيضاً وأنا في مرحلة الدراسة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة في التاريخ الحديث بجامعة الخرطوم في الفترة من 2000-2004م. وبذلك أكون قد مكثت بدار الوثائق القومية سبعة سنوات، هي فترة دراسة الماجستير والدكتوراه. وفي هذه الفترة تعرفت علي الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم أبوسليم عن قرب، وقد كان وقتها يشغل منصب الأمين العام لدار الوثائق القومية. وقد تفضل طيب الله ثراه بارشادي إلي المصادر والوثائق والمخطوطات ذات الصلة بالبحوث والأطروحات التي أعدتها، وفوق ذلك فقد كان يوصي موظفي الدار بتذليل كل الصعاب التي كانت تواجهني. وقد كانوا عند حسن الظن، فلم ييخلوا علي بوقتهم ومساعداتهم المستمرة، التي كان لها القدح المعلي في انجاز تلك البحوث علي أتم وجه وأكمل صورة وعليه فقد رأيت أن أتناول مسيرة هذا العالم الجليل العلمية، ومساهماته الفكرية. التي طوت شهرتها الآفاق، وسارت بها الركبان، علي المستوي المحلي والاقليمي والدولي. فقد تمكن طيب الله ثراه من سد ثغرة حقيقية من ثغرات البحث العلمي كانت تعاني منها المكتبة السودانية، والمكتبات الجامعية. وخاصة تلك التي تتعلق بالبحوث والدراسات ذات الصلة بالدولة المهدية، التي تخصص فيها وسبر أغوارها، وألم بكل وثائقها ومستنداتها ومكاتباتها، مع المسؤولين في الدولة، وعمال العمالات، فيما عرف برسائل الصادر المتضمنة لقرارات وتوجيهات رأس الدولة ممثلاً في الامام محمد أحمد المهدي، ومن بعده الخليفة عبدالله التعايشي. ورسائل

الوارد والتي كانت عبارة عن افادات، وردود العمال والمسؤولين حول ماتم تنفيذه من توجيهات وقرارات، ومالم يتم تنفيذه والأسباب التي حالت دون ذلك، حتي يكون رأس الدولة علي علم بما يجري في الدولة وفي أطرافها البعيدة، توطئة لمعرفة أدق التفاصيل عن أحوال الدولة في أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ليتمكن من اتخاذ القرار المناسب المستند إلي الشواهد والأدلة المؤيدة لاصداره من الأساس . ولكي أكون منصفاً فقد رجعت إلي موقعه الرسمي الموسوم <https://www.abusaleem.org> وذلك للتعرف علي مولده ونشأته .

المولد والنشأة :

ولد البروفيسور محمد ابراهيم أبو سليم بقرية «سرکمتو» بريفى حلفا القديمة بالولاية الشمالية في 1927/7/16م، وقد جاء مولده في أسرة مستقرة مادياً وإجتماعياً، وذات علاقات ممتدة وواسعة، وذلك لأن والده كان يعمل بالتجارة وله اثنين من الإخوة وثلاث من الأخوات. اشتغل أكبرهم سناً بالتجارة في حين اشتغل الآخر بالزراعة. وكان أبو سليم يجيد اللغة النوبية إجادة تامة، ويفضل الحديث بها في غالب الأحيان، ويحفظ الكثير من الأشعار والحكم والأمثال والطرائف المكتوبة باللغة النوبية .

تعليمه :

بدأ أبو سليم تعليمه بالخلوة فالتحق بخلوة الشيخ عبد الرحمن بدرى، الذي كان أحد أبناء الأسر الدينية العريقة بالمنطقة. وفي العام 1939م، زار مفتش التعليم المستر « ثيوبولد » ومعه آخرون الخلوة التي كان يدرس بها أبوسليم، وتم اخضاع التلاميذ لإمتحان بحيث كانت النتيجة أن قرر المستر « ثيوبولد » تحويل التلميذ أبوسليم ومعه ثلاثة آخرون إلى التعليم النظامي، للدراسة بالمدرسة الأولية الحكومية . وفي عام 1940م وبناءً على توصية مدير التعليم التحق أبوسليم بمدرسة عبرى الأولية بالصف الثانى مباشرة، وكان مثابراً ومجداً . مما جعل فترة دراسته بالمرحلة الأولية تسير بنجاح . وقد كان أبوسليم يحب دراسة التاريخ الذي برز فيه أيما بروز، وقد زامل أبو سليم كلاً من الأستاذ نجم الدين محمد شريف الذي كان أول مدير لمصلحة الآثار السودانية فيما بعد، والأستاذ محمد عثمان وردي الفنان السوداني والموسيقيار المعروف. وفي العام 1943م التحق أبوسليم بمدرسة حلفا الوسطى، هذا وقد تزامنت فترة التحاقه بهذه المدرسة مع وجود نخبة ممتازة من الأساتذة الأكفاء، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، الأستاذ محمد توفيق الوزير لاحقاً، والأستاذ حسن عمر الأزهرى الشاعر المعروف، والأستاذ أبو القاسم بدرى، والأستاذ عبد الرحيم أمين . وقد أكد أبو سليم بأنه قد أفاد كثيراً من هؤلاء الأساتذة

. بل واعترف بأن تأثيرهم عليه قد كان كبيراً، مذكراً بفضلهم عليه . وخلال هذه الفترة فقد أتيحت لأبي سليم فرصة الاطلاع على المصادر المعرفية والثقافية المتنوعة، التي كانت تدرج بها مدينة حلفا، التي كانت تصل إليها الكتب والصحف من العاصمة الخرطوم، علاوة على وصول بعض الصحف والمجلات المصرية، التي كانت تصل المدينة بانتظام . خاصة وقد كانت توجد بمدينة حلفا مكتبة غنية وعامرة بأمهات الكتب العربية. وقد كان لأبي سليم نشاطاً واضحاً وملحوظاً من خلال أنشطة الجمعيات الأدبية والندوات التي كانت تعقد بين الحين والآخر، بالإضافة إلى الصحف الحائطية المنتشرة بالمدرسة. وفي العام 1947م إنتقل إلى مدرسة وادي سيدنا الثانوية، وهي إحدى كبريات المدارس الثانوية بالسودان، وكان الطلاب يفدون إليها من بقاع السودان المختلفة، ومن بيئات متباينة جغرافياً وثقافياً . مما أدى إلى تعدد مشارب الطلاب الثقافية، وتنوع وإختلاف ألسنتهم ولهجاتهم، بحكم تنوع القبائل التي ينحدرون منها، وإختلاف وتباين الأعراق التي ينتمون إليها، وقد كانت إهتمامات طلاب المرحلة الثانوية في ذلك العهد تتركز في الاهتمام بالتحصيل الأكاديمي، ومن ثم انحصرت جهودهم واهتماماتهم في إطار إكتساب المعارف العلمية، الموجودة بمكتبة المدرسة الغنية بالمؤلفات والمراجع، ومقتنيات الأساتذة والمجلات الثقافية، وعلى رأسها الكتب المنهجية والثقافية، وكان الطلاب يعملون بنظام التخصص، فمنهم من كان يفضل قراءة مؤلفات زكي مبارك، ومنهم من كان يقرأ لتوفيق الحكيم، ومنهم من فضل قراءة مؤلفات (المازني)، ومنهم من فضل (طه حسين)، وقد كان أبوسليم ممن يفضلون القراءة للعقاد . وقد كان أبوسليم مشاركاً في تلك الأنشطة ومبرزاً في الجمعيات الثقافية والرياضية بصفة عامة، وفي جمعية القراءة الحرة بصفة خاصة . فقد كان شغوفاً بالاطلاع علي أمهات الكتب ذات الطبيعة الفكرية، بحيث كان يقرأ كل ما يقع تحت يده من مطبوعات، إلا أن تركيزه الأكبر قد كان منصباً على قراءة مؤلفات العقاد الذي كان معجباً بأسلوبه في الكتابة والتحليل الرصين، المستند إلى الشواهد والأدلة والبراهين المدعومة بالمنهجية والموضوعية، التي كانت تخاطب العقول، وتجيب علي الكثير من الأسئلة ذات الطبيعة الفلسفية . خاصة وأن فترة الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين قد شهدت نهضة ثقافية وفكرية غير مسبوقة في السودان . فليس غريباً أن يكون أبوسليم نتاجاً طبيعياً لذلك الواقع، الذي تشكل علي أساسه حاضره ومستقبله العلمي .فانعكس كل ذلك علي منهج وأسلوب أبو سليم في الكتابة وعرض المادة العلمية، بهدف إثراء مادة البحث وموضوعه وفي العام 1953م انتقل أبوسليم إلى المرحلة الجامعية، وكان أكثر ما شغل الساحة السودانية هو النشاط السياسي، تمشياً مع الواقع السياسي حينها، والذي اتسم بكثرة التيارات السياسية، وتعدد منطلقاتها الفكرية والأيولوجية، إلا أن أبو سليم قد كان منشغلاً بالتحصيل العلمي أكثر من انشغاله بالسياسة . وقد ركز أبوسليم في تعليمه الجامعي على ثلاث مواد هي اللغة العربية،

واللغة الانجليزية ومادة التاريخ، علاوة على قراءاته للكثير من كتب الأدب باللغتين العربية والانجليزية، بحيث توفر علي حصيله ضخمة من الشعر والنثر والأمثال. التي أسهمت بشكل واضح في طريقة معالجته لبعض الموضوعات التاريخية التي تعهدها بالدراسة والتحليل .

الوظائف التي تقلدها :

وبعد تخرجه في الجامعة، التحق بإدارة المحفوظات للعمل مساعداً لأمينها الانجليزى الجنسية المستر ب . م هولت، في الحادي والعشرين من شهر أبريل عام 1955م . وبعد فترة وجيزة لم تتجاوز الأسبوعين من التحاق أبوسليم بادارة المحفوظات ترك رئيسه المستر هولت الخدمة . إلا أن أبو سليم قد أصر علي مواصلة العمل بكل جد واجتهاد، ومثابرة وتفان ونكران ذات . وقد شجعه علي ذلك مساعدة بعض الذين عملوا معه، يذكر منهم علي سبيل المثال لا الحصر المحروم مبارك سري . الذي قدم له كل عون، بحيث استطاع أن يتجاوز تلك المرحلة الحرجة التي مر بها علي غير موعد ودونها انذار مسبق .

والجدير بالذكر أن أبو سليم قد تنبه منذ إلحاقه بالعمل في إدارة المحفوظات، إلى قيمة ما تحت يده من كنوز ومعلومات، فقد قاده حسه المتيقظ وذكاؤه الفطري، وإهتماماته التاريخية، إلى قيمة وأهمية ما يمكن أن توفره له تلك المحفوظات من معلومات مفيدة ومتنوعة، شملت جميع المجالات التي يحتاج إليها بلده السودان، الذى إستقل حديثاً. فهو من أوائل الذين أدركوا خطورة المعلومة وأهميتها، بالنسبة للشعوب والأمم، وكيف أن تلك المعلومات، يمكن أن توظف لحماية الدولة من أي أخطار أو مهددات متوقعة . وفي نفس الوقت يمكن أن توظف للاضرار بالدولة، من خلال تسريب بعض المعلومات السرية، التي بواسطتها يمكن أن يخترق أمن الدولة، اذا لم تكن تلك المعلومات والوثائق في أيد أمينة، وعلي درجة عالية من الوطنية والولاء للوطن، وعلي معرفة بقيمة تلك الوثائق والمخطوطات والتقارير، المودعة بادارة المحفوظات، لاشتمالها علي معلومات غاية في السرية والخطورة . ولأهمية هذه الخطوة فقد عمل أبو سليم علي نشر الوعي المجتمعي منذ وقت مبكر، لتبصير الحكومة والادارات الأهلية، والأفراد بضرورة المحافظة علي ما بأيديهم من وثائق ومخطوطات، من شأنها إثبات أحقيتهم في التملك للأراضي والحواكير والديار والسواقي وغيرها، درءاً للصراعات والنزاعات التي قد تحدث في المستقبل .وقد صدق حدث الرجل فهاهي دارفور تنزف من جراء النزاعات القبلية حول الأراضي والحواكير والديار، والحقوق المرتبطة بالحدود الادارية، حول المراعي والمزارع وموارد المياه . وبنفس الوتيرة فإن كردفان مازالت تدفع الثمن باظهاً، من جراء الحرب الدامية التي نشبت بين بعض

قبائل حمر، حول الأراضي والحدود الادارية الفاصلة بين المزارع . وقد كان لتلك الوثائق أكبر الأثر في وضع الموجهات التي سار عليها أبو سليم فيما بعد، وخاصة عند نشوب التمرد في جنوب السودان. وعند وقوع التمرد كانت الحكومة الوطنية حديثة عهد بالحكم وأساليبه، إذ لم يكن الحكام أو الإداريين على دراية تامة ومعرفة وثيقة بالأوضاع في جنوب السودان، بل ولم يكونوا لصيقيين بما يجري فيه من تطورات، مما استدعى رجوعهم للوثائق الخاصة بالجنوب، للوقوف على المعلومات الضرورية لتعينهم على الأسلوب الأمثل للتعامل مع الحدث، وكيفية معالجة الإشكال الكبير الذي استجد على الساحة وهو الوضعية الإدارية لتبعية منطقة أبيي بعد انفصال جنوب السودان، مكوناً دولته المستقلة في العام 2011م. لأن كل الوثائق الخاصة بهذه المنطقة تقبع في أرشيف دار الوثائق القومية بالخرطوم، والتي رتبها وبوبها وأرشفها، البروفيسور أبوسليم طيب الله ثراه. ومن هنا فقد تأكد للبروفيسور أبوسليم مدي أهمية المعلومات التي تحويها الوثائق والدور الحيوي الذي يمكن أن تلعبه فيما يتعلق بمعالجة النزاعات والصراعات القبلية التي ظلت تحدث بين الحين والآخر . وإنطلاقاً من السوابق الإدارية، ومن متابعة ورصد تواريخ الأحداث، ومن ثم بدأ الترتيب والاستعداد لأن تصبح دار الوثائق مهياًة بشكل يمكنها من تقديم المعلومة المطلوبة، عن أي موضوع قد يطرأ وفي كل مشكلة قد تنشأ، وقد صار هذا الاتجاه جزءاً ثابتاً وأساسياً في برنامج دار الوثائق العملي. وإنطلاقاً من هذا الفهم والتوجه، فقد كان لدار الوثائق اسهاماً واضحاً في المؤتمرات التي ظلت تعقد على إختلاف وتنوع محاورها وموضوعاتها، خاصة وأن دار الوثائق قد شاركت في إيجاد الحلول لبعض المشاكل التي كانت تحدث بين بعض الكيانات الإجتماعية، بالإضافة إلي مشاكل الحدود القبلية والاقليمية، والمشاكل الناتجة من جراء تقسيم المديریات. وقد تزامن بدء عمل البروفيسور أبوسليم بدار الوثائق مع الأحداث الكبرى التي سبقت إعلان إستقلال السودان، وهو الحدث الأكبر الذي أثار حسه الوطني، وولد لديه الرغبة القوية والإهتمام بكتابة تاريخ السودان، والشؤون المتعلقة به، بالإضافة إلي أنه قد نجح في خلق صلة مستمرة بين دار الوثائق بوصفها مصلحة حكومية تهتم بالمعلومات، والمراكز العاملة في مجال دراسة التراث السوداني، وبين المجتمع السوداني كرافد مهم من روافد المخزون المعرفي المتنوع .

مسيرته العلمية :

إلتحق أبو سليم بقسم التاريخ بجامعة الخرطوم، وتم تسجيله لنيل درجة الماجستير في وثائق المهديّة، وعندما أنجز أطروحته وقّمت مناقشتها، تم ترقيتها إلي

درجة الدكتوراه التي تم حصوله عليها في العام 1966م، تحت إشراف المسترهولت، ومنذ تلك اللحظة فقد أصبح أبو سليم من الشخصيات المحبة للمعرفة والإطلاع الواسع . في مجالات التاريخ والتراث والإجتماع والآداب والوثائق باللغتين العربية والانجليزية، وخاصة تلك التي اشتملت علي فترة التركية والمهدية، والحكم الثنائي والتاريخ الحديث. ومن أهم الأعمال التي قام بها أبو سليم هي الطواف علي مختلف ربوع السودان الواسعة، سعياً وراء جمع الوثائق الحكومية من دواوين الدولة، ومتتبعاً للوثائق الخاصة في مظانها المختلفة، ومتربساً لبعض اللجان القومية، ومشاركاً في بعضها بفكره ورأيه المتخصص في كيفية حفظ الوثيقة من الضياع، أو التعرض للإتلاف . كل ذلك قد مكنه من الوقوف عن كثب على حيلة ضخمة من المعارف والمعلومات عن أقاليم السودان المختلفة، إستقاها من لقاءاته بالمسؤولين، وإجتماعاته بقيادات وزعماء وشيوخ القبائل، في تلك المناطق من السلاطين والنظار والمشايخ والعمد والأعيان والإداريين. الأمر الذي أسهم بقوة في دعم مركزه العلمي والإداري . بالإضافة إلي حصوله علي بعض المعارف ذات الصلة بالإدارة الأهلية .وقد أهلتة تلك المعارف والقراءات لأن يكون حجة ومرجعاً لكل من يبتغى المشورة، وينشد المعلومة الصحيحة الموثقة وبالتحديد اذا كانت ذات صلة بتاريخ المهديّة .

إسهاماته ومشاركاته العلمية :

وبمرور الوقت تطورت إدارة المحفوظات في عهده وتحت رعايته لتصير داراً للوثائق المركزية بموجب قانون 1965م، ثم هيئة قومية تحت إسم دار الوثائق القومية بمقتضى قانون 1982م . وصارت بها خمسة إدارات متخصصة هي إدارة الوثائق الحكومية، ثم إدارة المحفوظات، وإدارة البحوث، والإدارة الفنية، وأخيراً إدارة العلاقات العامة. ونتيجة لجهوده وإتصالاته ونشاطاته الواسعة وإسهاماته، ومشاركاته محلياً وإقليمياً ودولياً صارت دار الوثائق من أميز دور الوثائق في العالمين العربي والأفريقي. كما نجح أبو سليم في خلق صلات وثيقة وفاعلة مع المؤسسات ذات الصلة بالأرشفة، كالمجلس الدولي للأرشفة، والفرع الإقليمي لدول شرق ووسط وجنوب افريقيا، والفرع الإقليمي العربي للوثائق، ودور الوثائق العربية والأفريقية . وفي إطار النشاط العالمي والإقليمي في مجال الأرشفة فقد أسهم البروفيسور أبو سليم في أنشطة المجلس الدولي للأرشفة بحيث كان نائباً لرئيس المجلس، وعضواً بلجنة الكاد، وهي اللجنة التي تعنى بتطوير مهنة الوثائق في العالم، كما كان عضواً في لجان فنية أخرى، منها لجنة الأختام، بل وقد

أصبح عضواً مؤسساً للفرع العربي للوثائق، بذلك أصبح من الشخصيات القليلة التي كان لها شرف حضور المؤتمر الانشائي للفرع بروما. كما ساهم البروفيسور أبوسليم في وضع أول قانون للفرع، وكان أول رئيس له لفترتين متتاليتين، بل وقد صار أميناً عاماً له لفترتين أيضاً. وشارك مشاركة فعلية في كل مؤتمرات الفرع العربي للوثائق والفرع الاقليمي لدول شرق ووسط وجنوب افريقيا، وشارك في عدة مؤتمرات عن الوثائق بروما، بغداد، طرابلس، القاهرة. وبفضل جهوده الكبيرة والنشاط المكثف، صارت دار الوثائق السودانية عضواً في أسرة الأرشيف الدولية، بحيث أصبحت لها مكانة متقدمة، وصارت تعد من أكثر دور الوثائق تقدماً في العالمين العربي والافريقي في مجال الأرشفة . وأصبح قانونها مرجعاً للكثير من دور الوثائق التي أنشئت حديثاً . وعلي أثر ذلك قررت منظمة اليونسكو والمجلس الدولي للأرشيف، إنشاء مركز اقليمي لتدريب الوثائقيين العرب والأفارقة بالخرطوم، فضلاً عن اعتماد دار الوثائق السودانية من قبل اليونسكو والمجلس الدولي للأرشيف كمركز للتدريب العلمي في مجالي صيانة وترميم الوثائق على النطاق المحلي . ومن مشاركاته حضوره لعدد من مؤتمرات المجلس الدولي للأرشيف والعمل في لجانته المختلفة لدرجة أن تم اختياره رئيساً لإحدى دوراته . كما شارك بفعالية في المؤتمر الإقليمي لشرق ووسط وجنوب افريقيا للأرشفة، الذي انعقد بلوساكا، حيث تم انتخابه عضواً في لجنته التنفيذية . كما ظل يقدم المشورة العلمية لدور الوثائق الكويتية، ودولة الإمارات المتحدة، وقطر بطلب من حكوماتها، ولوثائق المحاكم الشرعية بقطر، ولدار الوثائق بزنبار بطلب من اليونسكو . ومن مشاركاته ذات المردود العلمي زيارته لكل من دار الوثائق العراقية، والرياض بالسعودية، ودار الوثائق المصرية، ودار الوثائق البريطانية، والفرنسية، والأمريكية الفيدرالية، ومكتبة الكونغرس، وحدة إرشيف السودان بجامعة درم، ودار الوثائق الإيطالية . كما أصبح عضواً في العديد من اللجان لا يتسع المجال لذكرها . ومن نشاطاته العلمية أنه عمل أستاذاً زائراً لتدريس علم الوثائق المسمي بالدبلماتيك، وعلم الارشيف، بجامعة الخرطوم، وجامعة أم در مان الاسلامية، خلال الأعوام 1975-1981 م . واستاذاً زائراً بقسم التاريخ بجامعة بيرجن بالنرويج في الفترة 1989-1994 م . كما حاضر في مدرسة علوم الاعلام بالرباط، ودرس مادتي الارشيف والوثائق، بالاضافة إلي محاضراته التي ألقاها علي طلاب معهد الجهاد الليبي في التراث الشفوي .

مؤلفاته :

وقد بلغت مؤلفاته الستين مؤلفاً، منها الكتب والمقالات والبحوث، التي غطت الأدب والتراث والتاريخ والأرشيف والإجتماع، فقد كتب في الأدب وحقق العديد من دواوين بعض الشعراء مثل ديوان (أفق وشفق) لتوفيق صالح جبريل، وديوان (إبن عمر) لصاحبه حسن عمر الأزهرى، ووثق لبعض الشخصيات المهمة. كما كان له أثر واضح في مسيرة التاريخ الحديث وتاريخ المهديّة علي وجه الخصوص فقد تناول بالدراسة والتحليل بعض الشخصيات التي أسهمت في إرساء دعائم الدولة المهديّة كشخصية عثمان دقنه، وعبد الرحمن النجومي، وحمدان أبو عنجة، والحسين زهرا، والحسن العبادي، ومكي الطيب شبيكة، ومحمد أحمد المحجوب. كما كتب عن الإدارة الاهلية والإدارة الحديثة، وتاريخ الإدارة الإقليمية في السودان. و كتب عن تاريخ الخرطوم وامتداداتها، والخرطوم بحري وأمدرمان وبربر. وقد كان تركيزه الأكبر على تاريخ المهديّة، فقد ألف كتاب (الختم الديواني في السودان)، وكتاب (أدباء وعلماء ومؤرخون)، وكتاب (بحوث في تاريخ السودان). وحقق كتاب (تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته) لنعوم شقير. ومن الموضوعات التي تناولها بالدراسة والتحليل والتوثيق كتاب (الساقية)، وكتاب (القصر الجمهوري)، بل وقد كتب كتاباً في الشخصية السودانية، وكتاب (نعوم شقير مؤرخاً)، و (الطائفية في السودان)، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات بالصحف والمجلات في محاور فكرية وثقافية ودينية وإجتماعية مختلفة. وبذلك أصبح أبوسليم حجة ومرجعاً لكل من يتناول الفترة المهديّة بالدراسة والتحليل. ومن اسهاماته الفكرية التي كشفت عن عبقريته الفذة، وثاقب فكره، تحقيقه لكتاب (الطراز المنقوش ببشري يوحنا ملك الحبوش) لإسماعيل بن عبد القادر الكردفاني، وكتاب (سعادة المستهدي بسيرة الامام المهدي) لذات المؤلف. وكتاب (النخيل للقاضي عبد الله يوسف، وكتاب (طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة)، و(مذكرات عثمان دقنه)، وكتاب (تاريخ السودان) لنعوم شقير، وكتاب (الإبانة النورانية في شأن صاحب الطريقة الختمية) إلى غير ذلك من المخطوطات. ومن مساهماته الكبيرة أنه أول من فطن لأهمية الوثائق، ذات الصلة بالأرض وبالدراسات التاريخية والإجتماعية. كما قام بجمع العديد من الوثائق والمخطوطات، وتعهدها بالدراسة والتحليل، وإستخلص منها مادة علمية ذات قيمة تاريخية، أسهمت في فتح المجال واسعاً لدراسة فترتي سلطنة الفونج وسلطنة الفور. الأمر الذي مهد لدراسة تلك الحقب التاريخية دراسة منهجية، استندت علي الشواهد المادية والأدلة التاريخية المشفوعة بالوثائق والمستندات

والمخطوطات التي تدعمها . وخاصة تلك التي توجد بارشيف دار الوثائق القومية. وقد جاءت مؤلفات أبو سليم متنوعة في مضمونها، وعميقة في تناولها، بحيث غطت محاور مختلفة منها الثقافي والفكري والسياسي والديني والاجتماعي. ومن ضمن الكتب التي قدمت حلولاً عملية للكثير من المشاكل التي ظلت تحدث من حين لآخر في دارفور، كتاب الفور والأرض كراسة رقم (10) التي احتوت علي وثائق التملك التي ظل يحررها سلاطين دارفور، علي اختلاف فترات حكمهم، والتي كانت تنص صراحة علي ملكية الفقراء أو العلماء فيما عرف بحواكير الجاه، وعلي تمتعهم بتلك الحقوق، باعتبار أن المالك الحقيقي للأرض هو السلطان، فهو الذي يستطيع أن يمنح الأرض أو ينزعها في أي وقت شاء ويعطيها لمن يشاء . لأن الحاكمة أو الاقطاع في الغالب يعطي مقابل خدمات تقدم للسلطان . فاذا مات صاحب الحاكمة أعطيت لغيره، ممن لديه القدرة علي تقديم نفس الخدمة للسلطان. أما اذا وقع صاحب الحاكمة في سخط السلطان أخذت منه الأرض، وأعطيت لمن هو أكفأ منه . ولهذا السبب ظل سلاطين الفور يؤكدون بقاء حق ملكية الأرض لصاحبها وفي ذريته. مما جعل أصحاب الحواكير يعرضون عقودهم وحججهم، علي كل سلطان جديد ليقر لهم بأرضهم . وبفضل تلك الاقرارات ظلت بعض الأراضي باقية في حيازة بعض الأسر حتي يوم الناس هذا .

الأوسمة التي نالها عن جدارة واقتدار :

ومن الأوسمة التي نالها بروفيسور محمد ابراهيم أبوسليم، وسام الجدارة تقديراً لجهوده في انشاء وتطوير العمل بدار الوثائق القومية في العام 1981م . ووسام العلم والآداب والفنون الذهبي، تقديراً لأعماله العلمية المتميزة 1981م، ووسام الحكم الاقليمي الفضي، تقديراً لإسهامه في بناء الحكم الاقليمي في السودان عام 1984م . ووسام الانجاز السياسي لإسهامه الفاعل في مؤتمر الحوار الوطني، حول قضايا السلام عام 1989م . ووسام النيلين من الطبقة الأولى، عندما كرمته الدولة نتيجة لجهوده المثمرة في العام 1999م . هذا فضلاً عن تكريم طائفة الأنصار له في مهرجان شعبي كبير بمناسبة تقاعده، وتقديراً لأعماله العلمية، التي اهتمت بدراسة تاريخ الدولة المهديّة . وقد توفي رحمه الله في يوم 2004/2/7 بمدينة الشجرة بالخرطوم .

الفصل الثاني

نظرات و مراجعات في جانب
من تراث العلامة أبو سليم

نظرات ومراجعات في جانب من تراث العلامة أبو سليم

وزارة الخارجية - الخرطوم

د. خالد محمد فرح

مقدمة :

مما لا شك فيه أن مجرد التفكير في إمكانية الإحاطة بمجمل التراث الفكري بالغ الضخامة والثراء والتنوع للراحل البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم 1927 - 2007م، لا تعدو كونها دعوى عريضة للغاية، يتعذر تحققها في الواقع، خصوصاً من خلال مجرد مقال كهذا، معد للنشر في عدد خاص من اصدارة بمناسبة احتفائية مكرسة لهذا المؤرخ الضخم، والعالم الموسوعي الكبير . وربما لا نتجاوز الحقيقة إذا ما قررنا أن محمد إبراهيم أبو سليم، يعد واحداً من أغزر المؤلفين السودانيين إنتاجاً ونشراً، كما أن إنتاجه يتميز بالكثرة الملحوظة من حيث الكم، وبالجودة النوعية من حيث الكيف، فضلاً عن التنوع المدهش في الموضوعات التي طرقها أو ألّف فيها. وربما لا يدانيه من مجاليه في هذه الناحية، نوعاً ما، إلا رفيقي دربه منذ مدرسة وادي سيدنا الثانوية ثم كلية الآداب بكلية الخرطوم الجامعية (جامعة الخرطوم الآن): البروفيسور يوسف فضل حسن، والبروفيسور عون الشريف قاسم. والحال كذلك، فقد لفتت بالفعل مؤلفات البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم بتميزها المبهر كمّاً ونوعاً، نفرّاً من الباحثين فأفردوها بمصنفات كاملة في أكثر من مناسبة، لا على سبيل الرصد الببليوغرافي فحسب، بل من خلال سرديات استعراضية علمية وموضوعية ناقدة، سلّطوا من خلالها أشعة من الاضواء الكاشفة على تلك الكنوز، ولفتوا الانظار والعقول لما فيها من افكار ومعلومات ومباحث وتحليلات عظيمة المتعة والفائدة في جميع الجوانب التي تطرقت اليها.

فمن بين تلك المصنفات التي تناولت مؤلفات محمد إبراهيم أبو سليم حصراً على سبيل المثال فقط: مقال للبروفيسور يوسف فضل حسن بعنوان: « الريادة والتفرد في مؤلفات الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم »، وهو في الاصل ورقة قدمها في النادي النوبي بالخرطوم بتاريخ 10 فبراير 2005 م، في حفل تكريم الأستاذ الدكتور محمد

إبراهيم أبو سليم، ونُشرت لاحقاً في كتاب لذات المؤلف.⁽¹⁾ ومن بين الأعمال الباكورة نسبياً، التي قصرها مؤلفوها على مصنفات محمد إبراهيم أبو سليم، ورقة بعنوان: « البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم وتطور دار الوثائق القومية، 1955 - 1995م، مع قائمة ببلوجرافية بأعماله »، أعدها الدكتور الحاج سالم مصطفى، أستاذ علوم المكتبات والمعلومات سابقاً بعدد من الجامعات بالسودان ودولة الإمارات العربية المتحدة، وقدمها في حفل تكريم هيئة شؤون الانصار للبروفيسور أبو سليم، بمكتبة « البشير الريح » بام درمان بتاريخ 7 مارس 1996م. وهذا العمل للدكتور الحاج سالم مصطفى، هو في تقديرنا، من أوعب المصنفات البليوغرافية التي تناولت تفاصيل التراث الفكري والأكاديمي والمهني والاداري للبروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم.⁽²⁾ ونود أن نختم هذه القائمة التمثيلية، وغير الاستقصائية بأية حال من الأحوال، للمصنفات المخصصة للحديث عن محمد إبراهيم أبو سليم ومؤلفاته، بالإشارة الى كتيب صغير من تأليف البروفيسور أحمد إبراهيم أبو شوك، عنوانه هو: محمد إبراهيم أبو سليم محققاً ومؤرخاً.⁽³⁾ وهكذا يقول عنه صنوه البروفيسور يوسف فضل حسن ما يلي باختصار: « ... رقد الاستاذ الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم شيخ المؤرخين السودانيين المكتبة العربية والسودانية، بقرابة الثمانين كتاباً وبحثاً، صارت صرحاً علمياً عظيماً يتعذر على الباحثين في تاريخ السودان تجاوز مضمونه. وعلى قمة هذا الصرح تقف مؤلفاته عن المهدية..... وامتد عطاؤه الثر ليرقد الفكر السوداني والبحث العلمي في الثقافة والأدب والأرشيف والوثائق، وطرق مجالات جديدة في التاريخ، فولج مجال التاريخ الاقتصادي والفكري، وهي ما يمكن ان نسميه بعلم أصول التاريخ أو الأساس المادي لحركة التاريخ. فكتب عن الارض وملكيته وعلاقاتها، وعن الساقية والنخيل، كما كتب عن الزعماء كالإمام عبد الرحمن المهدي والسيد علي الميرغني. ويغلب على كل هذه المؤلفات التنوع والأصالة، وتبين فكره الموسوعي. وهي أيضاً، تجسيد للمثابرة والتفاني والإخلاص في البحث العلمي والتقصي الأكاديمي، حيث تصلح أن تُحكي للأجيال القادمة قدوة تبتغي وامتدواً يُحتذى. »⁽⁴⁾ وعلى سبيل التدليل على « قومية » البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم، وتجاوزه للانتماءات والولاءات الضيقة، مما جعله موضع ثقة واحترام واعتبار قادة البلاد في شتى الحقب المتعاقبة، كتب تلميذه وحواريه البروفيسور أحمد إبراهيم أبو شوك ما نصه:

« ... استطاع أن يعايش كل الأنظمة السياسية التي مرت على السودان بعد

الاستقلال، ويكون موضع ثقة واحترام عند قادة العمل السياسي باختلاف مدارسهم الفكرية. لذا فتجده عضواً بارزاً في لجنة دراسة الإدارة الأهلية التي كونتها الحكومة الديمقراطية عام 1966م، وحادي ركب في اللجنة التي قامت بحصر مقتنيات السيد عبد الرحمن المهدي بالجزيرة أبا عام 1970م، ومستشاراً في لجنة إعادة تقسيم المديرية والحكم الإقليمي، ورئيساً للجنة التوثيق في مؤتمر الحوار الوطني الذي نظّمته حكومة الإنقاذ عام 1990م. تقديرًا لجهوده الفكرية منحه حكومة مايو (1985 - 1969) م وسام الآداب والعلوم والفنون الذهبي، وتقنياً لإنجازاته في مجال الدراسات المهدية كرمه أنصار الإمام المهدي، وعرفاناً لعطاءه المستمر في إرساء دعائم التراث السوداني، والعمل الوطني، قلّدت حكومة الإنقاذ وسام الجدارة والخدمة الطويلة الممتازة ..»⁽⁵⁾ على أنه على الرغم من هذه السيرة الباذخة، والتركة العلمية والفكرية العامرة والمرموقة للبروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم، إلا أننا آنسنا من خلال مطالعتنا في عدد من مؤلفاته، جملة من المعلومات والاستنتاجات والتقارير التي بدت لنا مجالا محتملاً ومشروعاً للمناقشة، بل المراجعة والاستدراك. ولا يهولنّ القارئ الكريم لفظ « الاستدراك » المستخدم في هذا السياق، فإنه حاشا لله، لا يصدر عن تطاول ولا استنقص، وإنما عن محض الرغبة في الحوار مع تراث المؤلف، والتسديد والمقاربة ليس إلا، والتنبيه الى بعض الهفوات حتى يمكن تصويبها في الطبقات اللاحقة من هذه المؤلفات المرموقة، وذات السلطة والمرجعية المعرفية الباذخة. هذا، واستدراك اللاحقين على السابقين، والتنبيه إلى هفواتهم وأخطائهم، تقليد فكري وعلمي أصيل وعريق من تقاليد ثقافتنا العربية والإسلامية. ولعل أشهر كتب الاستدراك هو كتاب الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري 321 - 405 هـ: المستدرك على الصحيحين، أي صحيحي البخاري ومسلم.

ذلك بأن الكمال لله وحده، وجلّ من لا يخطئ ولا يسهو، سبحانه وتعالى. وقد جاء في القول المأثور « لن تعدم الحسناء ذاماً »، ومن ذلك أيضاً قول بشار بن بُرد في ذات المعنى:

كفى المرء فضلاً أن تُعدّ معاييه

ومن طريف ما يمكن ذكره في هذا المقام كذلك، أن البروفيسور ابا سليم نفسه قد انتهج ذات النهج مع صديقه وصنوه البروفيسور يوسف فضل، في الفصل الذي عقده حول كتاب طبقات ود ضيف الله، وذلك إذ يقول:

« إن ضبط نص الطبقات على هذا الوجه، قد انتهى به إلى نص أساسي معتمد،

ويمكننا الآن أن نقول إننا نملك نصاً للطبقات يغنينا عن العودة إلى النسخ الخطية وإلى طبعتي صديق ومنديل.

غير أن هذا كله لا يعني أن عمل محقق الطبقات يجيء مبرراً من كل عيب. وقد يختلف المرء أحياناً مع المحقق في بعض ما يذهب إليه، أو قد يرى أنه يعبر دون تعليق في موضع كان يستحق النظر، وأحياناً يحس المرء أن المحقق قد وصل إلى أمر إلا أنه يحذر عن ذكره لفرط دقته. وقد حاول أن يصلح بعض ذلك في الطبعة الثانية للتحقيق.

ولكن ذلك متوقع في عمل كبير كهذا، وليس من عمل بغير نقص. وسبحان المبرأ من كل عيب. ومع ذلك فإن المؤاخذة أقل مما يتوقع في أول تحقيق علمي شامل للطبقات.⁽⁶⁾

مراجعات في بعض مؤلفات أبو سليم: **أولاً: الحركة الفكرية في المهديّة:**⁽⁷⁾

في صفحة 28 من الطبعة الثالثة من هذا الكتاب الصادرة في عام 1989م، وقفنا على خطأ طباعي بسيط في كتابة اسم الشيخ: محمد الطيب البصير، الذي أثبتته المؤلف سهواً هكذا «البشير» وذلك حين يقول:

«وكانت الطريقة السمانية تعاني من خلاف خطير، ذلك لأن الشيخين القرشي ود الزين والشيخ الطيب البشير... قد اختلفا مع محمد شريف، باعتبار أن لهما التقدمة بحكم أنهما أخذتا الطريقة على يد الشيخ أحمد الطيب البشير.»⁽⁸⁾

- وفي صفحة 30 من ذات الطبعة من هذا الكتاب، يميل أبو سليم إلى الشك في أن يكون الإمام محمد أحمد المهدي قد أفصح لشيخه السابق الأستاذ محمد شريف نور الدائم عن مهادته في عام 1295هـ/ 1878م، مما حدا بمحمد شريف إلى طرده وزجره كما زعم.

ويعلق أبو سليم على ذلك الزعم قائلاً:

«ولكن زعم محمد شريف لا يمكن التسليم به، أولاً لأن قوله هذا صدر عنه في معرض الهجوم على المهدي وتكذيبه، والذي رتبته عبد القادر باشا حكامدار السودان، وحرّض عليه العلماء ورجال الدين ومنهم محمد شريف، وثانياً لأن فكرة المهديّة لم يكن لها وجود في ذهن المهدي في هذا الوقت المبكر.»⁽⁹⁾

وعندنا أن أبا سليم لم يبرز بينة، أو دليلاً خطياً أو عقلياً مقنعاً يؤكد بما لا يتطرق إليه الشك أن محمد أحمد المهدي لم تراوده فكرة المهديّة في عام 1878م أو قبلها، كما لم يبرز لنا شيئاً من خطب المهدي ورسائله وغيرها من أدبيات المهديّة الأخرى التي هو العليم والخبير بها خبرة واسعة، ما يكذب زعم محمد شريف نور الدائم الذي لم يكتف بالتفوه به شفاهة، وإنما خطه يراعه شعراً في معرض قصيدته الرائية الشهيرة، في بيان خبر المهدي من وجهة نظره بالطبع، والتي تنطوي على بعض الإشارات ذات الدلالة والمضمون التاريخي، وذلك مثل قوله:

لقد جاءني في عام زعٍ بموضعٍ

على جبل السلطان في شاطئ البحر

فعام زع هو بحساب الجُمْل يعني عام 1277هـ، ذلك بأن الزاي تقابل الرقم 7 والعين تقابل الرقم 70. وهنا يحدد الشيخ محمد شريف تاريخ العام الذي التحق فيه محمد احمد بمدرسته أو « مسيده » للدراسة عليه، وهي تقابل العام 1861 ميلادية، أي عندما كان المهدي في سن الثامنة عشرة من عمره.

أما الموضوع المُسمّى « جبل السلطان »، فإنه موجود بام مرحي موطن الولي الشهير الشيخ أحمد الطيب البشير 1742 - 1823م، الذي هو جد محمد شريف نفسه. وهذا يعني ان المهدي قد التحق بمحمد شريف منذ ان كان بموطن آبائه بام مرحي، وقبل ان ينتقل لاحقاً إلى منطقة « العراذيب » بالنيل الأبيض.

ثم يمضي في ذات القصيدة فيقول:

إلى الخمس والتسعين أدركه القضا

بما مضى في سابق العلم بالنشر

وهو نص واضح على أن مكاشفة محمد أحمد لمحمد شريف في أمر المهديّة قد كانت في عام 1878م. وبإزاء هذا الميل الى التفصيل الدقيق من قبل محمد شريف على نحو ما أورده في قصيدته المفعمّة في مجملها بالصدق وحرارة الانفعال، بما في ذلك إنصافه للامام المهدي في بدايتها، وتنويهه بصلاحه وورعه وتواضعه، وإخلاصه في عبادته وفي خدمة شيخه في أول أمره، يغدو من الصعب الركون إلى احتمال أن يكون محمد شريف قد اختلق مسألة إفضاء محمد أحمد بن عبد الله ود فحل إليه بأنه قد خوطب بأنه المهدي في عام ١٨٧٨م.

وللمفارقة، فإن أبا سليم يرد في سخرية في ذات الكتاب، رأياً للبروفيسور الراحل

محمد أحمد الحاج، مفاده أن مهديّة مهدي السودان، مستقاة من أدبيات حركة الشيخ عثمان دان فوديو 1754 - 1817م، المصلح والمجاهد المعروف، ومؤسس دولة الخلافة الصكتية بشمال نيجيريا.

وفي هذا يقول أبو سليم:

« أما القول الذي ردّده محمد أحمد الحاج كثيراً، بأن مهديّة السودان كان مصدرها حركة دان فوديو، باعتبار أن أقوال فوديو وجماعته عن المهديّة قد انتشرت في دارفور، وأن عبد الله، خليفة المهدي فيما بعد، قام بنقلها إلى المهدي، ومن ثم قام المهدي بدعوته، فزعم لا يسنده دليل، ولا مكان له إلا في خيال صاحبه. »⁽¹⁰⁾ ورغم أننا نؤيد أبا سليم تأييداً تاماً في استبعاده أن يكون المهدي قد أخذ فكرة المهديّة من تراث الشيخ عثمان دان فوديو عن طريق الخليفة عبد الله، وأنّ المهدي لمّا عُرف عنه من سعة اطلاع وتبحر في علوم التراث الإسلامي جميعها منذ عهد الدراسة والطلب، وخصوصاً عكوفه على أمهات كتب التصوف التي تغطى بأخبار المهدي، سواء كانت بأقلام مؤلفين مغاربة أو مشارقة، قد اختمرت في ذهنه فكرة المهديّة على نحوٍ مستقل، إلا أننا نرى في استبعاده بدون دليل من أي نوع، لإمكانية أن يكون المهدي قد فاتح أستاذه محمد شريف في أمر مهديّته منذ عام 1878م، تعضيداً ضمناً بالفعل، لمذهب من يقولون بتأثر المهدي بآراء دان فوديو حصراً حول المهدي.

هذا، ومما قد يجدر بنا ذكره في هذا المقام أيضاً، أن المهدي وعثمان دان فوديو كليهما قد امتاحا عبر سنديهما العلميين على التوالي، من تراث عالم موسوعي كبير وذائع الصيت من رجال القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر الميلادي، كان مهتماً بمسألة « المهدي المنتظر »، هو الشريف محمد مرتضى الزبيدي 1732 - 1791م. ذلك بأن الشيخ عثمان دان فوديو قد تتلمذ على يد الشيخ جبريل بن عمر الطارقي الاغاديسي (ت 1789م)، الذي كان قد تتلمذ بدوره على يد الشريف مرتضى الزبيدي المذكور. وفي المقابل، نجد أنّ المهدي قد درس في مطلع شبابه على يد الشيخ الأمين الصويلح بكر كوج، الذي هو حفيد الشيخ أحمد بن عيسى الأنصاري 1737 - 1826م، وكان هذا الأخير قد درس على الشريف مرتضى الزبيدي المذكور بالقاهرة، وحصل منه على إجازة بتأليفه ومروياته، كما أخذ منه إجازات بالمكاتبه، لعدد من مجاليه من علماء السودان وشيوخه بسلطنة سنار آنئذ.⁽⁶⁾ وقد أثر عن الشريف مرتضى الزبيدي أنه أرسل مرة خطاباً إلى أحمد باشا الجزار أمير عكا

بالشام في العهد العثماني، أسر إليه فيه أنه يرى أن الجزار هو « المهدي المنتظر ».⁽¹¹⁾ فما أشبه هذه الواقعة بقصة الخليفة عبد الله مع الزبير باشا، وما قيل عن محاولته التزيين لهذا الأخير بأنه هو المهدي المنتظر أيضاً. وبذلك يتعزز لدينا الاعتقاد بأن المهدي إنما استقى فكرة المهديّة، غالباً من ذات المصادر التي استقاها منها الشيخ عثمان دان فوديو وغيره من علماء المسلمين وطلاب العلم في بلدانهم المختلفة حيثما كانوا. ذلك بأن المصادر هي نفس المصادر، وقد كانت فاشية ومنتشرة، وليست قاصرة على صقع بعينه من أصقاع العالم الإسلامي.

ثانياً: أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان:⁽¹²⁾

جاء فيه في صفحة 92 من الطبعة الأولى، قول أبي سليم:

« أما مكمايكل فقد أورد في الجزء الثاني من كتاب تاريخ العرب في السودان، والذي نُشر لأول مرة في عام 1932، ثم نُشر مصوراً في عام ١٩٦٧م الخ »⁽¹³⁾ والشاهد هو قوله إن كتاب مكمايكل المشار إليه قد نشر لأول مرة في عام 1932، وهذا هو خطأ طباعي غالباً، وإنما الصواب هو أن تلك الطبعة الأولى قد صدرت في عام 1922م⁽¹⁴⁾ وفي صفحة 93 من ذات الكتاب، يخطئ أبو سليم مكمايكل لأن هذا الأخير « يورد ترجمة لشخص يدعى عبد الباقي الولي (رقم 2)، ولكن لا يرد شخص في الطبقات بهذا الاسم. »⁽¹⁵⁾

لقد أخطأ مكمايكل في الواقع عندما خص شخصاً اسمه عبد الباقي الولي بترجمة منفصلة، في معرض ترجمته لمادة كتاب طبقات ود ضيف الله، توهماً منه بأن ود ضيف الله قد أفرد له ترجمة في الطبقات. ولكن في الواقع أن ود ضيف قد ذكر بالفعل شخصاً يسمى « عبد الباقي » باعتباره أحد تلاميذ الشيخ عبد الله ود العجوز. وذلك حين يقول:

« عبد الله بن العجوز: قد أخذ مذهب الصوفية وأخذ الطريقة من الشيخ محمد المسلمي وأرشدّه. وقام مقام شيخه في السلوك وإرشاد وتربية المريدين. وممن أخذ عليه طريق القوم وسلّك وأرشد مثله عبد الباقي. »⁽¹⁶⁾

فكل ما هنالك أن مكمايكل قد خلط بين ترجمة الشيخ عبد الله ود العجوز، وترجمة تلميذه عبد الباقي الذي ذكره ود ضيف الله هكذا عرضاً، ولم يذكر معه اسم والده ولا لقبه، ولم يفرد له ترجمة خاصة.

ولقد أفادنا بعض العالمين بأخبار الأولياء والصالحين عموماً في السودان وتراجمهم، بأن عبد الباقي المذكور، هو الشيخ عبد الباقي النيل الكاهلي راجل أم قرقور، الذي يرجح أنه عاش في حوالي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي الى أواخره، وهو تلميذ الشيخ عبد الله ود العجوز المذكور. وقد كان الشيخ عبد الباقي النيل بدوره، شيخاً لجملة من التلاميذ النابهين الذين صاروا شيوخاً مشهورين فيما بعد، منهم الشيخ عوض الجيد « تور عفينة »، وهو شيخ الشيخ محمد العبيد بدر 1810 - 1884م، والشيخ طه الابيض البطحاني، وهو شيخ الشيخ ابراهيم الكباشي.⁽¹⁷⁾

ثالثاً؛ بحوث في تاريخ السودان:⁽¹⁸⁾

لاحظنا بعض الأخطاء الإملائية والتي ربما تكون طباعية فقط، في بعض الألفاظ في الفصل الذي هو بعنوان: « دور العلماء في نشر الإسلام في السودان ». ومن ذلك ما جاء في ذلك الفصل من أن « ادريس بن عبد الرحمن بن جابر خرج عن هذا التقليد بزواجه من ملكة كبجة ونقله المدرسة إليها. الخ »⁽¹⁹⁾

والشاهد هو ان اسم تلك البلدة في ديار الشايقية بشمال السودان هي: « كَجَبِي » وليس « كبجة » مثل ما هو مكتوب.⁽²⁰⁾ وثمة خطأ مطبعي آخر في ذات الصفحة رقم 26: عبد الرحمن النويري مؤسس مدرسة أريجى بالباء الموحدة، وليس أريجى بالياء المثناة كما هو مكتوب. وقد تكرر ذات الخطأ في السطر الرابع قبل الاخير من صفحة 29.

في صفحة 28: كتب المؤلف « ومدرسة ود عيسى الخزرجي في كترانج، ومن بعد في المسي »، والمقصود بالطبع هو « المسيد » سقط عنها حرف الدال. وكتب في ذات الصفحة ايضاً: « مركزي مسيخة العبدلاب في قَرْي والحلفاية ». كتب « مسيخة » بالسين المهملة عوضاً عن « مشيخة » بالشين المنقوطة.

في صفحة 39 من هذا الكتاب، نرى أن هنالك خطأ في السطر الثاني قبل الأخير منها، إذ جاء فيه عن عدد سكان الخرطوم: « قُدّر عدد السكان في عام 1896م بربع مليون نسمة. ». فلعل التاريخ المقصود والصحيح هو 1869م، أي في العهد التركي، وإلا فإنه في العام المذكور 1896م، أي في أواخر سني دولة المهديّة، فإنه لم يكن بالخرطوم أي ساكن مطلقاً، فقد هُجرت تماماً بأمر المهدي وخليفته، منذ فتحها في يناير 1885م، وحلت ام درمان « البقعة » محلها عاصمة للدولة.

في صفحة 97، يقول المؤلف إنّ الحاج عمر بن سعيد الفوتي 1794 - 1864م، قد

قام بحركته « بأرض غوته بالسنگال ». وهنا نلاحظ خطأ في الرسم الإملائي الصحيح لاسم المنطقة التي انطلقت منها حركة الحاج عمر ألا وهي « فوتا تورو » بالفاء ومنها جاء لقبه « الفُوتي »، وليس « غوته » بالغين. وفي ذات السياق يذكر أبو سليم أن الحاج عمر قد تأثر بالحركة الوهابية الخ. وهذا في تقديرنا رأي ينبغي أن يؤخذ بشي من الاحتراز والتحفظ. ذلك بأن الحاج عمر كان صوفياً سلك الطريقة التجانية بالحجاز، على يد الشيخ محمد الغالي بوطالب الحسني (ت 1828 م). وهذا الأخير، هو أحد تلاميذ الشيخ أحمد بن محمد التجاني 1737-1815م. اللهم إلا أن يكون المقصود هو أنَّ الطريقة التجانية، بوصفها إحدى الطرق الإصلاحية والتجديدية المستحدثة، كالإدرسية والختمية والسمانية، قد تأثرت بنشاط علماء الحديث، الذي ازدهر في الحجاز في القرنين السابع عشر، وخصوصاً الثامن عشر الميلاديين، فغشيتها من ذلك نفحة سلفية وأصولية واضحة. ويتجلى ذلك بصفة خاصة في نفور التجانية بالتحديد الملاحظ عن بعض رموز الصوفية وشاراتها المادية، مثل: الرايات، والطبول، والتواجد أثناء الذكر، ولبس المرقعات، وما إلى ذلك.

في صفحة 102، رسم اسم الشيخ « حياتو بن سعيد » حفيد الشيخ المجاهد عثمان دان فوديو بخطاً طباعي غالباً هكذا « حيات ». وذلك في معرض إشارة المؤلف لصلته بالمهدي والمهدية بالسودان.

صفحة 103، يشير فيها المؤلف الى روايتين تذهبان الى أنَّ الخليفة عبد الله التعايشي ذهب مرة الى الزبير باشا وبشره بأنه المهدي فزجره الزبير، ثم سعى في مرة أخرى الى الشيخ محمد شريف نور الدائم وأسر له بذات البشارة، فنفى محمد شريف ان يكون هو المهدي، ووجهه بان يذهب الى « محمد أحمد » لأنه يزعم ذلك الخ .. والشاهد هو قول المؤلف أن تينك الروايتين « مختلفتان ». والراجح عندنا أنه أراد انهما « مُختلفتان » بالقاف، أي ملفقتان ولا أصل لهما. ذلك بأن المؤلف درج على رد الكثير من مثل هذه الروايات، ويرى أنها قد وُضعت بعد تاريخ حدوثها بمدة، لتحقيق أغراض معينة، واثبات أشياء محددة. وفي صفحة 108، يذكر المؤلف في معرض حديثه عن سلاسل الصوفية، ما دعاها بسلسلة « محي الدين بن العربي »، والصحيح هو « محي الدين بن عربي » بدون تعريف، بينما أنَّ « ابن العربي » بالتعريف هو القاضي والفقهاء المالكي: أبو بكر بن العربي 468 - 543 هـ

في معرض إشارته للشيخ الذين أخذ عنهم السيد أحمد بن إدريس الفاسي

1750 - 1837م، ذكر المؤلف من بينهم شيخاً اسمه: عبد القادر بن العربي بن الشقروني الفاسي، وهنا خطأ طباعي في لقب هذا الشيخ. إذ هو « ابن شقرون » فقط بدون ياء النسب في آخره. وهذا اللقب العائلي، ما يزال مستخدماً ومسموعاً في المغرب إلى يوم الناس هذا.

في صفحة 128، أثبت المؤلف تاريخ حياة الشيخ عبد الوهاب التازي بأن جعل تاريخ مولده في عام 1687، وتاريخ وفاته في عام 1798م. والصحيح هو أن الشيخ عبد الوهاب التازي الذي كان من المُعَمِّرين، قد ولد بالفعل في عام 1687م، ولكنه توفي في عام 1206 هـ الموافقة لسنة 1792م 18، وليس في عام 1798م كما ذكر المؤلف.⁽²²⁾ في صفحة 134 من الكتاب، يوقفنا أبو سليم على اسم شيخ غامض يرجح أنه كان من أبنكار الطريقة الختمية بالسودان، مشيراً إليه فقط بـ « الشيخ سالم الكردفاني »، صاحب « منظومة الدر واللال في عدد رجال سند شيخنا ذي الكمال ». ولكن المؤلف لا يمضي البتة الى التعريف بهذا الشيخ الختمي الكردفاني المتقدم، أو يعطينا نبذة عن سيرته.

والحق هو أن الشيخ سالم الكردفاني المذكور، هو الشيخ سالم البزعي، الذي ولد ونشأ وترعرع بقرية « فغيح » بشرق كردفان، حيث تقع الى الشمال الشرقي من بلدة « ود عشانا ». أفادني بهذه المعلومة الخليفة مجاهد أحمد النور الزاكي الذي أضاف أن قرية « فغيح » المذكورة، هي ذات القرية التي كان ينتمي إليها أسلاف الشيخ القرشي ود الزين قبل أن يهاجروا الى ديار الحلاويين بالجزيرة. وللشيخ سالم الكردفاني ذكر في المصادر الختمية كما سبقت الإشارة الى ذلك آنفاً، كما له ذكر في المصادر السمانية والمهدوية أيضاً.⁽¹⁶⁾

.. www.Sudanile.com بتاريخ 15 / 6 / 2015م

ويبدو أن الشيخ سالم المذكور، قد بدأ ختمياً، ثم انتقل بعد ذلك الى الطريقة السمانية. والراجح أنه قد كان من ضمن شيوخ وأعيان كردفان الذين التقى بهم المهدي قبل إعلان أمره مثل: المنّا اسماعيل، والسيد المكي اسماعيل الولي، وموسى الأحمر، ورحمة منوفل وغيرهم.

في صفحة 153، يذكر المؤلف « إجازة السيد ابراهيم الرشيدي » الخ.. باثبات ياء النسب، والصواب هو « الرشيد » فحسب، والمقصود هو الشيخ ابراهيم الرشيد الدويحي 1808 - 1874م. وفي صفحة 155، يشير المؤلف في معرض حديثه عن إجازة

صوفية في الطريقة التجانية، الى مخطوط من تأليف الشيخ الطيب مونة بن سعيد 1900 - 1995م بعنوان: « ثبت سر الأسرار ونور الأنوار الجامع لأسانيد وأثبتات السادة الأخيار ». ولعلم القراء الكرام فان هذا المصنف لم يعد مخطوطاً، اذ عمد الاستاذ عبد الله الطيب مونة، وهو نجل الشيخ الطيب فقام بطباعته ونشره.⁽²³⁾ رابعاً: أدوات الحكم والولاية في السودان⁽²⁴⁾

صفحة 7، السطر الأول من الفقرة الثالثة، جاء فيه: « وفي القسم الأول تكلمنا عن الكرر، وهو كرسي الملك والولاية في السودان الخ ». والشاهد هنا هو أنَّ هنالك خطأ طباعياً في كلمة « الككر »، التي صحيحها أن تُكتب بكافين عوضاً عن رئين. الصفحتان 28 و 29 فيهما خطأ في لقب الزبير بن عبد القادر ود الزين، لأنه رُسم هكذا « الزبير ود ذو »، بينما أنَّ حقيقته هي « الزبير ود ضوّة »، وضوّة هي أمه التي نسب اليها.

عند حديثه عن السبحة، يذكر المؤلف في صفحة 72 ما يلي: « للمرحوم محمد أحمد محبوب، الشاعر والأديب والسياسي المشهور، قصيدة بعنوان مسبحتي ودِّي، جعل بها محبوبته في هذا المعنى الجميل، وقد نُشرت القصيدة في ديوان صغير مع قصائد أخرى، وهو آخر دواوينه. »⁽²⁵⁾

والحق أن الديوان الصغير نفسه، عنوانه هو « مسبحتي ودني »، ولعل الديوان أشهر بهذا العنوان من القصيدة. والشاهد هو قول الشاعر المحبوب:

أنا يا أُميَّةُ شاعرٌ

والشعرُ مسبحتي ودِّي

هذا، وقد عدّد المؤلف في ذات الصفحة، جل أنواع السبح التي تصنع أو تجلب لكي تباع في السودان، وأحسب أنه قد نسي من بينهما: « الفضيلة » بفاء مكسورة وياء مماله نحو الفتح، وهي ضرب من المسابح ذات حبات صغيرة الحجم وخفيفة الوزن. في صفحة 73، يصف المؤلف العصا الحداثّة في معرض حديثه عن العصي بأنها « عصا قصيرة مخنوفة يؤثر بها المتحدث أو يخرط بها الأرض لتأكيد كلامه. » والشاهد هو أنَّ كلمة: « مخنوفة » هنا بالخاء المنقوطة خطأ، وإمّا صوابها هو « مخنوفة » بالخاء المهملة، أي بمعنى: المعقوفة أو التي لها انحناء.

في صفحة 75، هنالك اضطراب في بيان اسم واحد او اثنين من وجهاء العُمَراب، حيث كتب المؤلف: « ... الشيخ عبد الماجد صاحب المدرسة الشهيرة بأم درمان، وأمير

الصاوي الإداري المشهور وعميد الخدمة المدنية سابقاً، ومحمد وعثمان خالد أمير المهديّة. « ولعله يقصد: محمد عثمان ووالده حاج خالد العمرابي الأمير في المهديّة الخ.

وفي ذات الصفحة، بالسطر الاول من الفقرة الثانية، حدث خطأ طباعي في الاسم « السّمانيّة » فرسم هكذا « المسانيّة »، وثمة خطأ بكلمة « سَجّادة » في نهاية الصفحة، حيث كتبت « حبّادة ». وفي صفحة 78 يقول المؤلّف في معرض حديثه عن الحِراب بوصفها إحدى شارات الحكم والولاية في السودان، إنّ من الحِراب المشهورة « حربة الشيخ خوجلي التي كان يرسلها للمتحاربين فيكفّون عن القتال ». ولا ندري من أين استقى أبو سليم معلوماته عن حربة الشيخ خوجلي هذه، في حين أنه لا ذكر لها - بحسب ما نعلم - في ترجمته الضافية بكتاب طبقات ود ضيف الله، الذي نحسب أنه تحدث فقط عن عصا هذا الولي وطينته أيضاً، ناسباً إليهما بعض الكرامات وخوارق العادات.

في صفحة 90 يورد المؤلّف كلمة « المديد » في معرض حديثه عن تربية بعض كبار المتصوفة في السودان مثل الشيخ حسن ود حسونة الجمال والخيل، ويشرح تلك الكلمة فيقول: « المديد هو الجمل والحصان القوي الذي أخذ غذاءً كافياً ». والواقع أن تصحيحاً ما قد اعتري هذه اللفظة في هذا السياق. ذلك بأن اللفظة المعنية هي « البديد » بباء مفتوحة ودال مجرورة، وليس المديد بالميم. ولا علاقة للبديد بالقوة ولا بالغذاء الكافي كما يقترح أبو سليم، وإنما البديد هو ضرب من البباد المصنوع من نوع معين من القش الذي يجدل بطريقة معينة، ويوضع تحت الحوايا التي تسرج بها ظهور إبل الحمل خاصة. 20 وبذلك يكون التعبير « جمال البديد » معناه: إبل الحمل تحديداً.⁽²⁶⁾ وفي صفحة 92 يذكر المؤلّف المرأتين اللتين كان يشبّب بهما الشيخ المجذوب اسماعيل صاحب الربابة « هيبة وتهجة »، غير أنه اخطأ في رسم اسم « تهجة او تهجى بالأحرى »، فكتبه « نهجة » بالنون عوضاً عن التاء، ولعلها محض هفوة طباعية.

هذا، والاسم تهجة أو تهجى اسم سوداني عريق، وإن كان أصله واشتقاقه غامضاً، ولعله كان يطلق على النساء في السابق، ولكن يبدو أنه قل استخدامه للغاية، حتى لم يعد يستعمل أو يُسمع. ولكن بعض الأسماء التي تشترك معه في الدلالة والمعنى العام، ما تزال مستخدمة ومسموعة، وتطلق على الذكور والإناث على حد سواء. ومن ذلك أسماء مثل: هجو، والهجانا بين الرجال، وهجوة، والهجيتي بين النساء. والراجع

أن الفعل العامي هَجَى يَهَجَى معناه أعجب يُعجب، أو سَرَّ يَسُرُّ⁽²⁷⁾ وبذلك يكون معنى اسم « تهجى »: تُعجب وتسُر.

صفحة 98، اثبت فيها المؤلف أبياتاً من مرثية بنونة بنت الملك نمر في أخيها علي، ولكن لاحظنا بعض الاخطاء التي شابت النص مثل ما هو مكتوب:

يا مقنع بنات جعل القرار من جم

والصواب هو: يا مُقنع بنات جعل العُراز من جم

وكذلك كتب:

فرتاك حافلن ملآن سروجن دم

والصواب هو

فرتاك حافلن. ملأي سروجن دم

في صفحة 117، يميل أبو سليم الى التشكيك في صدقية الرواية التي أثبتها ود ضيف الله في طبقاته، والخاصة بكرامة الشيخ ادريس بن محمد الارباب مع الشيخ المصري علي الاجهوري، على خلفية انتصار رأي الأول القائل بحرمة استخدام التبناك على رأي الأخير القائل بحلّه. ويتساءل المؤلف تساؤلات تنحو الى ذات المنحى التشكيكي، منها على سبيل المثال: كيف عرف الاجهوري أن ادريس غاضب عليه ؟ وهو تساؤل يمكن الرد عليه ببساطة، بأنّ الاجهوري بحسب تلك الرواية، قد زجر حوارى الشيخ ادريس ورسوله اليه وقال له: « يا بري شيخك صحابي ورمى له المكتوب »⁽²⁸⁾ فخاف مغبة ذلك بحكم وجدانه وتكوينه العقلي والنفسي الصوفي الطابع. وأما تساؤل الكاتب في ذات الصفحة عما إذا كان الاجهوري نفسه ذا مشرب صوفي، ويقبل مزاعم الصوفية الدراويش، فمن الممكن الرد عليه بان الراجح جداً أن الاجهوري كان متصوفاً، شأنه شأن سائر علماء وفقهاء حقبتي المماليك وخصوصاً العثمانيين.

في صفحة 118، ينقل المؤلف عن نعوم شقير قول بائعات المريسة في الاستغاثة بالشيخ ادريس ود الارباب: « يا شيخ ادريس يا راجل الفدة والمدة الخ »، ولكنه يكتبها « الغدة » بالغين عوضاً عن الفاء، وهو خطأ.

في صفحة 149، يذكر المؤلف في معرض حديثه عن الطبول والنقاير والنحاسات بوصفها من شارات الحكم والولاية في السودان، أنّ « لفظ كبر الذي يُطلق على الطبل الاسطواني ذي الجلد الواحد، مصدره لفظ كبرو الأمهرية، وقد يعني ذلك أن الطبل نفسه من الحبشة. » وهنا نود أن نلاحظ تشابهاً مدهشاً بين لفظة « كبرو » الامهرية

هذه بمعنى طبل، وكلمة « أم كابور » التي تطلق على طبل الذكر أو النوبة، وكذلك حلقة الذكر نفسها. ومن ذلك قول الشيخ عبد الرحيم البرعي يمدح الشيخ التوم ود بان نقا :

الشيخ التوم جبري المنبورو
ود بانقا ريس أم كابورو

فهل لفظة ام كابورو السودانية، مشتقة من كبرو الحبشية الأمهرية ؟ أو أن كليهما مشتقتان من أصل لغوي واحد مشترك قديم ؟ نرى أن ذلك جائز جدا. في صفحة 191 فما بعدها، يتحدث المؤلف عن « نحاس الكواهلة ». وهنا نشير الى أنه قد ذكر أن الحرب قد نشبت بين الكبابيش وحمّر في عهدي سالم فضل الله والتوم كما قال. وعندنا أن هذه العبارة مضطربة نوعاً ما. فالواقع هو ان تلك الحرب قد نشبت في فترة الحكم التركي المصري، وفي عهد زعيميهما آنئذ: فضل الله ود سالم، ومكي ود منعم المعروف بمكي أبو المليح على التوالي.⁽²⁹⁾

وفي صفحة 229، يشير المؤلف في معرض حديثه عن « نحاس الفلاتة »، إلى ناظر الفلاتة بجنوب دارفور في أربعينيات القرن الماضي باسم: « السماي أبشر »، والواقع هو أن اسمه هو « السماي البشّر » بالف ولام التعريف، وبفتح الباء والشين معاً. خامساً وختاماً: مسألة الشيخ المنّا:

ونود أن نختم هذه الكلمة في محاورة جزء من التراث الفكري والعلمي الضخم للراحل بروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم، بالتنبيه لبضع آراء وتقارير لأبي سليم أوردها في مقال له بعنوان: مسألة الشيخ المنّا⁽³⁰⁾

في صفحة 19 من العدد رقم 26 من مجلة « دراسات افريقية » الذي نشر فيه هذا المقال، يقول المؤلف في بدايته عن مدينة « التيّارة » التي استولى عليها الشيخ المنّا إسماعيل « أبو البتول » بقواته تحت راية الثورة المهديّة، أنها « عاصمة تجارة الصمغ في كردفان»، وكان حريّاً به أن يذكر أيضاً أنها كانت : رئاسة مركز شرق كردفان في العهد التركي، وأنها لما اندثرت بسبب حروب المهديّة وهجران سكانها لها، حلت محلها مدينة أم روابة، التي نشأت حديثاً بعد قيام ادارة الحكم الثنائي، وساعد على ازدهارها بصفة خاصة، مرور خط السكك الحديدية بها، ومن ثم فقد انتقلت رئاسة المركز نفسها الى أم روابة.

ما أشار اليه المؤلف من أن الإمام المهدي قد رفع من شأن الشيخ المنّا بعد

إعدامه ووفاته، أمرٌ صحيحٌ نوافقه عليه، ونُسب إلى المهدي قوله إن النبي صلى الله عليه وسلم قد عفا عنه. وفسر أبو سليم ذلك الموقف من المهدي حيال المنّا، بأنه قد جاء تقديرًا من قبله لدور المنّا في نصرته المهدية. وبوسعنا أن نضيف إلى جانب ذلك، عاملاً آخر شجع على ذلك الموقف، هو كون أن الشيخ المنّا هو صهر المهدي ووالد زوجته المسماة « حواء الجلالة ».

على أن هنالك هفوة كبيرة وقع فيها أبو سليم، ومن المدهش حقاً أن يقع فيها من هو مثله، ولكن لكل جواد كبوة، وذلك إذ يقول في صفحة 22 :

« المنّا من جوامعة شرق كردفان وهو والد مكي المنّا، وهو من مشاهير الخريجين، وكان رئيس طلبة الكلية الذين أضربوا إضرابهم المشهور، وقد عمل مهندساً وتولى الوزارة. »⁽³¹⁾ ووجه المفارقة في تقرير أبي سليم هذا، هو أن الشيخ المنّا قد توفي في عام 1883م، وهذا يعني بحسب رأي أبي سليم أن مكي المنّا، قد ولد في ذلك العام أو قبله حُكماً. والحال هو أن مكي المنّا عندما كان رئيساً لطلبة كلية غردون على أيام إضرابهم الشهير في عام 1931م، قد كان على أبعد تقدير في سن الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمره، وهذا يعني أن تاريخ ميلاده بالتقريب، هو ما بين عامي 1908 و 1910م، فكيف يكون الشيخ المنّا الذي مات مقتولاً في مارس 1883م، والداً له وقد مات قبل ميلاده بربع قرن أو يزيد؟.وعندي أنه يجوز أن يكون المنّا والد المهندس مكي، قد سُمي على الشيخ المنّا هذا تيمناً به، وذلك نظراً لأنه كان شيخاً صالحاً ذائع الصيت في شرق كردفان، فضلاً عن أنه كان يعيش في نفس المنطقة التي تنتمي إليها أسرة مكي المنّا أيضاً.

أما الاسم « مكي » نفسه، فيشي بكل تأكيد بتأثير الطريقة الإسماعيلية الكردفانية المنشأ أصلاً، خصوصاً بأننا علمنا أن جد مكي المنّا الملقب بالشيخ « النابر المنبوش »، قد كان من أبكار تلاميذ السيد إسماعيل الولي بن عبد الله، ولذلك جاء اسم المهندس مكي المنّا، غالباً تيمناً بالسيد المكي بن السيد إسماعيل الولي.

أما صلة أسرة الشيخ المنّا بقبيلة الجوامعة، فلا تعدو - كما علمنا - كونها علاقة موطن وسكن، وربما مصاهرات ما، في بعض المراحل، وذلك بحكم الجوار والمساكنة. فهذه الأسرة تتمسك بالانتساب الى فرع من قبيلة الجعليين يسمون « الماسعداب »، الذين يقال إنهم يمثلون بدنة من فرع « السعداب » من الجعليين الذين كان فيهم ملك الجعليين التقليدي منذ القرن السادس عشر الميلادي، من لدن جدهم الملك سعد

أب دُبُوس، قبل أن تستقر النظارة منذ مطلع القرن الماضي، في أسرة « آل فرح » من فرع النفيعباب .»

ذلك، وحيّا الله ذكرى العلامة الراحل البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم، وجزاه عن البحث والعلم، وعن درس التاريخ السوداني خاصةً وخدمته، خير الجزاء إنه سميعٌ مجيب.

المصادر والمراجع:

- (1) أحمد إبراهيم أبو شوك (1999م)، محمد إبراهيم أبو سليم محققاً ومؤرخاً، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 1999م.
- (2) الحاج سالم مصطفى (1996)، « البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم وتطور دار الوثائق القومية 1955-1995م، مع قائمة ببلوجرافية بأعماله » ورقة غير منشورة.
- (3) الحاج سالم مصطفى (2014)، دار حَمَر: دروب وظلال على الرمال، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 2014م.
- (4) الحارث إدريس الحارث، « فنونولوجيا المهديّة: المرشد إلى فهم مهديّة محمد أحمد المهدي بن عبد الله »، مقال للكاتب نُشر بصحيفة سودانايل الالكترونية .. www.Sudanile.com بتاريخ 15/ 6/ 2015م.
- (5) الشريف أبو عبد الله الكتّاني (2004)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج 3، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م.
- (6) الطيب مونة بن سعيد (2008)، ثبت العلوم المسمى سر الأسرار ونور الأنوار الجامع لأسانيد وأثبات الأخيار، تحقيق عبد الله الطيب مونة، مطبعة حصاد للطباعة والنشر، الخرطوم، 2008م.
- (7) عبد الرحمن الجبرتي (1997)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- (8) عون الشريف قاسم (1985)، قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، ط 2، القاهرة، 1985م.
- (9) محمد إبراهيم أبو سليم (1991م)، أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- (10) محمد إبراهيم أبو سليم (1992م)، أدوات الحكم والولاية في السودان، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- (11) محمد إبراهيم أبو سليم (1989)، الحركة الفكرية في المهديّة، ط 3، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989م.
- (12) محمد إبراهيم أبو سليم (1992م)، بحوث في تاريخ السودان: الأراضي، العلماء، الخلافة، بربر، علي الميرغني، دار الجيل، بيروت.

- (13) محمد إبراهيم أبو سليم (2001م)، «مسألة الشيخ المنّا»، مجلة «دراسات إفريقية»، جامعة إفريقيا العالمية، العدد 26، ص 19 - 38.
- (14) محمد النور ولد ضيف الله (1974)، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، ط 2، تحقيق يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، 1974م..
- (15) هارولد مكمايكل (1922)، تاريخ العرب في السودان، تعريب: سيد محمد علي ديدان المحامي، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، 2012م.
- (16) يوسف فضل حسن (2005)، حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين في تاريخ إفريقيا والسودان، ط 2، الناشر: سوداتك المحدودة، الخرطوم، 2012م.

الهوامش:

- (1) يوسف فضل حسن (2005)، « الريادة والتفرد في مؤلفات الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم »، مقال منشور بكتابه: حواشٍ على متون علماء ومؤرخين ومفكرين في تاريخ إفريقيا والسودان، الناشر: سوداتك المحدودة، الخرطوم، الطبعة الثانية، 2012م، ص 85 - 110.
- (2) الحاج سالم مصطفى (1996)، « البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم وتطور دار الوثائق القومية 1955 - 1995م، مع قائمة ببلوجرافية بأعماله، أعار معد الورقة ومقدمها نسخة منها لهذا الباحث فاطلع عليها.
- (3) أحمد إبراهيم أبو شوك (1999م)، محمد إبراهيم أبو سليم محققاً ومؤرخاً، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، 1999م.
- (4) يوسف فضل حسن، حواشٍ على متون، مرجع سابق، ص 85 - 86.
- (5) أحمد إبراهيم أبو شوك، محمد إبراهيم أبو سليم محققاً ومؤرخاً، مرجع سابق، ص 11 - 12
- (6) محمد إبراهيم أبو سليم (1991م)، أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص 92
- (7) محمد إبراهيم أبو سليم (1989)، الحركة الفكرية في المهديّة ط 3، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989.
- (8) نفس المصدر، ص 28.
- (9) نفس المصدر، ص 30.
- (10) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهديّة، المرجع السابق، ص 17.
- (11) انظر ترجمة الشيخ حسن بن عبد الرحمن بن صالح ولد بان النقا في كتاب: الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تأليف: محمد النور بن ضيف الله، تحقيق يوسف فضل حسن، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الثانية، 1974م، ص 190.
- (12) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 78.
- (13) محمد إبراهيم أبو سليم، أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان، مصدر سابق. <؟> نفس المصدر، ص 92.⁰

- (14) هارولد مكمايكل (1922)، تاريخ العرب في السودان، تعريب: سيد محمد علي ديدان المحامي، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، 2012م.
- (15) محمد إبراهيم أبو سليم، أدباء وعلماء، مرجع سابق، ص 93.
- (16) كتاب الطبقات لمحمد النور ولد ضيف الله، مصدر سابق، ص 271.
- (17) معلومات شفاهية تلقيتها من صديقي الخليفة مجاهد أحمد النور الزاكي التجاني.
- (18) محمد إبراهيم أبو سليم (1992م)، بحوث في تاريخ السودان: الأراضي، العلماء، الخلافة، بربر، علي الميرغني، دار الجيل، بيروت.
- (19) محمد إبراهيم أبو سليم، بحوث في تاريخ السودان، المرجع السابق، ص 26.
- (20) ود ضيف الله، الطبقات، مصدر سابق، ص 48.
- (21) للمزيد انظر الشريف أبو عبد الله محمد بن جعفر بد إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م، الجزء الثالث، ص 56.
- (22) رواية تلقاها هذا الباحث شفاهة من الشيخ مجاهد أحمد النور، وانظر أيضا: الحارث إدريس الحارث « فنومنولوجيا المهديّة: المرشد إلى فهم مهديّة محمد أحمد المهدي بن عبد الله، مقال للكاتب نُشر بصحيفة سودانايل الالكترونية بتاريخ 15/ 6/ 2015م. www.Sudanile.com.. (32)
- (24) الطيب مونة بن سعيد، ثبت العلوم المسمى سر الأسرار ونور الأنوار الجامع لأسانيد وأثبات الأخيار، تحقيق عبد الله الطيب مونة، مطبعة حصاد للطباعة والنشر، الخرطوم، 2008م.
- (25) محمد إبراهيم أبو سليم، أدوات الحكم والولاية في السودان، (1992م)، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- (26) نفس المصدر، ص 72.
- (27) انظر شرح كلمة بديد عند عون الشريف قاسم (1985)، قاموس اللهجة العامية في السودان، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 1985م، الطبعة الثانية، ص 86.
- (28) لشرح كلمة (هَجَى) انظر عون الشريف قاسم، قاموس اللهجة العامية، المصدر السابق، ص 1178.

- (29) الطبقات، مصدر سابق، ص 54.
- (30) الحاج سالم مصطفى (2014)، دار حَمَر: دروب وظلال على الرمال، مركز عبد الكريم ميرغني، أم درمان، 2014.
- (31) محمد إبراهيم أبو سليم (2001م)، «مسألة الشيخ المنّا»، مجلة «دراسات إفريقية»، جامعة إفريقيا العالمية، العدد 26، ص 19 - 38.
- (32) نفس المصدر، ص 22.

الفصل الثالث

إسهامات علماء السودان في كتابة التاريخ
(بروفسور محمد إبراهيم أبوسليم
أنموذجا)

إسهامات علماء السودان في كتابة التاريخ (بروفسور محمد إبراهيم أبوسليم أنموذجاً)

أستاذ التاريخ
جامعة أم درمان الإسلامية

أ. د. تاج السر سيد أحمد العراقي

مقدمة:

يشترط عبدالرحمن بن خلدون -في مقدمته- في المؤرخ أن يكون عالماً بقواعد السياسة وطبائع المجودات، واختلاف الأمم في البقاع والأمصار والسير الأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال.. إلخ. ويشترط السخاوي -في (التبر المسبوك)- العدالة مع الضبط التام والتحري وعدم المداهنة، وأن يكون عارفاً بما ينقله عن غيره، وأن يكن متحرزاً من وقوع المجازف والبهتان، معروفاً بالصلاح والتقوى.

فالتاريخ المثالي في نظر المؤرخ هو إجلاء حقيقة تاريخية غير معروفة، أو تصحيح حقيقة تاريخية خاطئة. والتاريخ يحتل مكانة مرموقة في عصر يتميز بتقدم العلوم. ولقد بذل المؤرخون -وهم طبقة من العلماء- جهداً شاقاً في نقل التاريخ من مفهومه المتمثل في الخطابات والأساطير إلى مفهومه الحديث المتمثل في دراسة التجربة الإنسانية بمعناها الشامل، والبحث عن أسبابها الحقيقية في ثنايا التطور الحضاري للإنسان.

بدايات:

منذ بزوغ عصر السودان الحديث -عند ازدهار الدولة الإسلامية في السودان- ممثلة في سلطنة سنار الإسلامية، وإلى يومنا هذا، ظهر في السودان علماء جهابذة برعوا في شتى فنون المعرفة الإنسانية، علوماً نقلياً كانت أم علوماً عقلية. وقد سجل هؤلاء العلماء الأحداث المعاصرة، والوقائع السابقة لعصرهم بكل أمانة ودقة على الرغم مما كان يجتاح البلاد -من وقت لآخر- من محن وابتلاءات، فهي أيضاً ظاهرة كانت تستدعي التنقية والتحصيص والدراسة المتأنية، لأنها ظهرت في فترات ساد فيها الجهل والظلام، وعمت فيها البدع الشيطانية، وانتشرت فيها الخرافة والدجل،

استدعت ظاهرة التنقية والتمحيص - كما سبق القول. وقد بذل علماء السودان - وما زالوا - يبذلون جهداً مقدراً في كتابة موضوعات تخص تاريخ الإسلام وتاريخ السودان في العصور المختلفة. وأبرز مثال لهؤلاء: الفقيه محمد النور بن ضيف الله (صاحب الطبقات)، كاتب الشونة الشيخ أحمد بن الحاج أبوعلي، وشيخ المؤرخين السودانيين المعاصرين المؤرخ محمد عبدالرحيم، ومع هؤلاء علماء ومؤرخون كثير في بلادنا الحبيبة، كتبوا كتابات قيمة في الأدب والتاريخ والاقتصاد والدراسات الشعبية والعقيدة والجغرافيا والعلوم السياسية. وكلها كتابات أظهرت فائدتها العلمية والتاريخية، وقدمت فائدة لعلم التاريخ والكتابة فيه، وتعتبر إضافة لها قيمتها الثابتة التاريخية وثقلها العلمي، لأن أولئك العلماء استقوا مادتهم من مصادرها الأصلية، ورجعوا إلى الأصول والجذور، بحثوا ونقوا، وكتبوا دراسة قيمة مفيدة لباحث التاريخ بوجه عام والتاريخ الإسلامي وتاريخ السودان بوجه خاص. ومنهم من يمثل أصحاب المدرسة الحديثة، والتي تدعو إلى التحليل في وقائع أحداث التاريخ وتقويمها، والبعد عن دائرة السرد التي تحتاج إلى تدقيق وتمحيص والخروج بحقائق موضوعية تعمل على غرس القيم الروحية والمفاهيم الأخلاقية والسياسية، وتحمل مفاهيم تاريخية أو قيماً تاريخية لأن التاريخ حركة دائبة من الأحداث المتفاعلة بين الإنسان وبيئته في جميع المجالات الإقتصادية الإجتماعية وغيرها. ولقد صاحب التطور الحضاري الحديث تطور مماثل في مفهوم التاريخ وأسلوبه ومنهجه. ولا يزال مجال الكتابة في التاريخ مفتوحاً أمام العلماء والمجتهدين، وكل ما في الأمر هو أنه مطلوب ممن يتصدى في جوانب التاريخ المختلفة، أن يكون أميناً، وأن يكون صادق الحس التاريخي، وعلى قدر كاف من صدق العقيدة، ومدركاً لأجواء العصر الذي يتصدى فيه للكتابة من جهة أخرى. وفي هذه الدراسة اخترت نماذج لعلماء علوم وفنون مختلفة في المعرفة مثل الأدب والتاريخ والقانون والفقه والدراسات الشعبية، وأسهموا وأبدعوا وقدموا الكثير في كتاباتهم ومحاضراتهم وندواتهم لعلم التاريخ، إلا أن الحظ الأوفر منها سيحظى به عدد محدود لأنه يتعذر علي الكتابة عن الآخرين لكثرتهم وضيق المجال. فالدراسة الشاملة تحتاج إلى عمق ودراسة أكثر ومجال أرحب وأوسع. والتركيز على فئة بعينها لا يقلل من جهد الآخرين بأي حال من الأحوال، ولا من القيمة العلمية التي جاءوا بها، فكلهم امتاز بالأمانة العلمية والدقة الموضوعية. كما أن معظمهم تكبد المشاق، وتحلى بالصبر، ولم تمنعه وعورة البحث ولا المصاعب أو العقبات عن مواصلة البحث والعمل

فيه، بل لم توقعه عن سعيه ندرة المصادر والمعلومات، ولم تصرفه عن عمله غموض الوقائع والحقائق العلمية والتاريخية، واختلاطها أو اضطرابها، ولم يتعجلوا لنيل منفعة، لأن ذلك سيكون على حساب العلم والحقيقة التاريخية، بل كلهم أو معظمهم التزم بمنهج البحث العلمي المرسوم، وتمتعوا بالثقافة اللازمة، وتوفرت لديهم ملكة النقد، مع الفحص والإستقراء. وعلى الرغم من أن الظروف الملائمة للبحث والدراسة التي تمكن الباحثين من العمل والإستمرار فيه قد لا تتوافران إلى أن علماء السودان -بصفة عامة - استطاعوا أن يؤثروا بصورة أو بأخرى في الظروف المناسبة في مجرى التاريخ.

ومن هؤلاء أذكر:

بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم (1927-2004م)

في كتاب (تاريخ الخرطوم) يعرّفنا المؤلّف المحقق (البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم) بالتاريخ السياسي والإجتماعي لهذا البلد وبتطوّره المعماري، معتمداً في ذلك على أوثق المصادر التي أمكنه العثور عليها وأقدم الخرائط التي حفظتها لنا الأيام، وقد وصف أبو سليم الخرطوم بأجزائها الثلاثة: الخرطوم، والخرطوم بحري، وأمدرمان، وصفاً دقيقاً وصورها تصويراً واقعياً، مما لا غنى عنه لكل متطلّع لمعرفة الخرطوم تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً.

التاريخ هو علم الوثائق، والمصادر والمراجع هي المصدر العلمي الذي يستمد منه الباحث معلوماته في كتابة بحثه. وكل كتابات المؤرّخ أبو سليم تعتمد على الوثائق والمصادر الأصلية، والوثائق بالنسبة للكتابة التاريخية تعد بمثابة الوقود الذي يحتاج إليه المحرّك لتأدية وظيفته، خاصة وأن الطريقة الحديثة في كتابة التاريخ تعتمد على نشر الوثائق وتمحيصها لأنها بمثابة لب التاريخ. فالمؤرّخ لا يستطيع التعرّف على الماضي مباشرة إلا من خلال الآثار التي خلفها وراءه، وكتابة التاريخ الصحيحة لا تبدأ إلا حين تكون وثائق واضحة وجديرة بالثقة. وتأتي الوثائق في المقام الأول بين مصادر التاريخ الإسلامي والحديث، لأنها تحتوي على مادة تاريخية حيّة غير قابلة للتغيير، مثل: الأحكام والفتاوى والمعاهدات والرسائل، وسجلات العطاء والأوامر القضائية والمالية وغيرها. ولو تمعنّا النظر وقمنا بالتدقيق اللازم لكتب أبو سليم وأبحاثه، نجد أن معظمها من هذا النوع الذي اخترته منها على سبيل المثال.. كتبه التالية تقف شاهداً على ذلك مثل:

(الفونج والأرض، الفور والأرض، الأرض في المهديّة، تاريخ الخرطوم، الشخصية

السوداني، مؤرخون وشعراء وأدباء في السودان، بحوث في تاريخ السودان، أدوات الحكم والولاية في السودان، الساقية، النخيل، الإبانة النورية في شأن الطريقة الختمية (تحقيق)، في طريقة أهل الله والسير ساهل (تحقيق)، تاريخ السودان لنعوم شقير (تحقيق)، مذكرات عثمان دقنه (تحقيق)، الآثار الكاملة للإمام المهدي (تحقيق)، تاريخ سيناء لنعوم شقير (تحقيق)، ديوان توفيق صالح جبريل (تحقيق بالاشتراك). وقد فطن أبو سليم إلى أهمية الوثائق، وساعدته مهنته وإمكاناته في البحث، مع الدقة والضبط والتحري في تصفّح الأوراق والوثائق عن كتابة التاريخ حتى يهتدي إلى الحقائق التاريخية الموثوق بها.

لقد كانت الحقيقة التاريخية ماثلة دائماً أمام محمد إبراهيم أبو سليم، لذلك نجده يتفادى الجانب الذاتي أو الشخصي ويلتزم جانب العالم المؤرخ، بالبحث عن الحقيقة شديدة التعقيد، وتجنب الوقوع في الأحكام السطحية، والبحث عن الأسانيد الصادقة غير المتحيّزة، وتتبع أفكارها ومعانيها بصدق وموضوعية، ومن هنا جاءت إسهاماته -كعالم من علماء السودان- في كتابة التاريخ. ولد محمد إبراهيم أبو سليم في اليوم السادس عشر من شهر يوليو عام 1927م في قرية سركيمتو بريفي حلفا القديمة بالإقليم الشمالي. تلقى تعليمه الأولي والأوسط في مدرستي عبري وحلفا، والثانوي بمدرسة وادي سيدنا. تخرّج في كلية الخرطوم (جامعة الخرطوم حالياً) في عام 1955م، فور تخرّجه التحق بخدمة محفوظات السودان التي تطوّرت على يديه من مكتب صغير في وزارة الداخلية حتى غدت دار الوثائق القومية التي تلعب دوراً نشطاً في فلسفة التاريخ عام 1966م، له عدة مؤلفات وبحوث في التاريخ والتراث والاجتماع والأدب والأرشيف والوثائق باللغتين العربية والإنجليزية، من أشهرها: الحركة الفكرية في المهديّة، تاريخ الخرطوم، أدوات الحكم والولاية في السودان، ديوان أفق وشفق (تحقيق)، ديوان ابن عمر (تحقيق)، العبادي، الحسين زهرا... وغيرها.

الأنشطة العلمية والأكاديمية:

عضو بمجالس ولجان جامعية متعددة، عضو لجنة تاريخ الأمة العربية، وترأس عدداً من اللجان القومية أهمها لجنة تقييم مديريات السودان، وأسهم في بناء الحكم المحلي. أستاذ زائر بجامعة الخرطوم 1967، وأستاذ علم الوثائق وعلم الأرشيف، ورئيس قسم الوثائق والمكتبات بجامعة أمدرمان الإسلامية (1975-1981م)، وأستاذ زائر بجامعة

النيلين بدرجة أستاذ (1955-1996م)، ودرس بها التاريخ والأرشيف والوثائق، أعد تقارير لحكومة السودان في عدة شؤون أهمها المشاكل القبلية وأمور الحدود. ترأس الجمعية التاريخية السودانية، وعضو الأمانة العامة للمؤرخين العرب، وعضو المجلس القومي للآداب والفنون. ويعتبر حجة في تاريخ المهديّة ونظامها. حقق كثيراً من الأدبيات، ما جعله رائد التحقيق في السودان، وأنشأ مركز أبو سليم للدراسات.

في مجال الأرشيف:

أحد مؤسسي الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف ورئيسه وأمينه العام لعدة دورات. شارك في مؤتمرات في عدة بلدان عربية، كما شارك في عدة مؤتمرات للمجلس الدولي للأرشيف، وشارك في أنشطة لجانه وأنتخب نائباً لرئيسه، نال العضوية الشرفية في المجلس الدولي للأرشيف، واشترك في مؤتمرات ولجان اليونسكو. اشترك في الحلقة الإقليمية لشرق ووسط وجنوبي إفريقيا للمجلس الدولي للأرشيف بلوساكا، وانتخب عضواً في لجنته التنفيذية. عاون في إنشاء وتنظيم دور الوثائق في بعض الدول الإفريقية منها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت وقطر وتنزانيا بطلب من اليونسكو، وزار وثائق العراق والدارة بالرياض - المصرية - دار الكتب المصرية - البريطانية - اللوردات ببريطانيا - الفرنسية - الأمريكية - الفيدرالية - مكتبة الكونجرس - تونس - المغرب - ليبيا - إيطاليا - وحدة أرشيف السودان بجامعة دراهام.

الأوسمة ومبادرات التكريم:

1. وسام الجدارة تقديراً لجهوده في إنشاء دار الوثائق عام 1981م.
 2. وسام العلم والآداب والفنون الذهبي تقديراً لأعماله العلمية عام 1981م.
 3. وسام الحكم الإقليمي الفضي تقديراً لإسهامه في بناء الحكم الإقليمي في السودان 1984م.
 4. وسام الإنجاز السياسي تقديراً لإسهامه في مؤتمر الحوار الوطني حول قضايا السلام 1989م.
 5. كرّمته هيئة شؤون الأنصار بندوق ومهرجان شعبي كبير بمناسبة تقاعده وتقديرًا لأعماله العلمية في تاريخ المهديّة.
 6. كرّمته الدولة عند تقاعده عام 1998م بحفل كبير أقيم بقاعة الصداقة بالخرطوم لخدمته الجليلة، ومنحته وسام النيلين من الطبقة الأولى.
- مما تقدم، تظهر عظمة الإنجاز وتؤكد حقيقة أن من يتصدى للكتابة في

التاريخ لا بد أن يتمتع بالثقافة والإعداد والخبرة اللازمة للنجاح. وقد نجح أبو سليم في نشر مجموعات ضخمة من الأصول التاريخية التي عملت على تشجيع الدراسات التاريخية، وبذل الجهود لإيجاد بيئة علمية صحيحة تعمل للعلم والمعرفة، وتضع تقاليد وطيدة وراسخة في مجال التاريخ والتوثيق والأرشيف، وتقوم ببعض الواجب نحو العلم والوطن والتاريخ - رحم الله أبا سليم.

الفصل الرابع

نظرات و مراجعات في جانب
من تراث العلامة أبو سليم

تاريخ الدولة المهدية من خلال كتابات أبو سليم

قسم التاريخ - كلية العلوم الانسانية
جامعة بحري

قسم التاريخ- كلية الآداب
جامعة الإمام المهدي

د. عبد العزيز محمد موسى

د. الصادق عبد الرسول مهدي

مقدمة:

شكل قيام دولة المهدية التي امتدت من الفترة 1881م إلى العام 1898م منعطفاً مهماً في الكتابات التاريخية التي تعتمد على الوثائق بشكل أساسي، وذلك من خلال الكمية الكبيرة من الوثائق التي تركتها، وهي تتناول العديد من الموضوعات الخاصة بدولة المهدية، سواءً ان كان من الناحية الدينية، او الناحية الإدارية التي نظمت الدولة عقب تحرير الخرطوم في 26 يناير 1885م. وقد استطاعت دار الوثائق السودانية، ومنذ نشأتها في عام 1948م تحت مسمى محفوظات السودان، ان تقوم بعملية جمع وتصنيف تلك الوثائق على أسس علمية، ساهمت بشكل مباشر في أن يستفيد منها الباحثين والأكاديميين في إجراء بحوثهم عن تلك الحقبة، وقد برز الكثيرين منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور مكي الطيب شبيكة⁽¹⁾ وبشير كوكو حميدة⁽²⁾ ومحمد سعيد القدال⁽³⁾. والدكتور محمد ابراهيم أبو سليم⁽⁴⁾ وهو أبرز من كتب عن تاريخ المهدية بجوانبها المختلفة، ومن خلال هذا البحث سنتناول تاريخ الدولة المهدية من خلال كتابات أبو سليم.

أبو سليم النشأة والمراحل الدراسية:

ولد أبو سليم في شمال السودان في منطقة وادي حلفا في السادس عشر من شهر يوليو 1927م وقد بدأ تعليمه بخلوة الشيخ عبد الرحمن بدري وهو أحد أبناء الأسر الدينية العريقة بالمنطقة، ثم التحق أبو سليم بمدرسة عبري الأولية ثم بمدرسة حلفا الوسطى، وفي هذه المرحلة الدراسية المبكرة حدث تأثير كبير عليه حيث أتاح له فرصة الاطلاع على وسائل المعرفة والثقافة التي كانت تزخر بها المنطقة. وكانت

ترد الكتب والصحف إلى حلفا من الخرطوم علاوة على الصحف والمجلات المصرية وكان بمدرسة حلفا الوسطى مكتبة غنية وعامرة بامهات الكتب العربية بالإضافة إلى المناشط الطلابية المتمثلة في اقامة الندوات وإصدار الصحف الحائطية التي كانت مجالاً للتنافس وإظهار المواهب وقد كان لأبو سليم نشاط واضح وملحوظ في أنشطة الجمعيات المختلفة⁽⁵⁾ وفي عام 1947م التحق أبو سليم بمدرسة وادي سيدنا حيث استفاد من تجربة الإختلاط بالمجموعات المتباينة ثقافة ولهجة، خاصة أن المدرسة كانت تضم طلاب من جميع أصقاع السودان المختلفة ومن بيئات متباينة جغرافياً وثقافياً بالإضافة إلى اهتمامات الطلاب الأساسية بالتحصيل الأكاديمي واكتساب المعارف العلمية بالإضافة إلى برامج التسلية ووسائل الترفيه المختلفة. وكانت مشاركة أبو سليم في جمعية القراءة بمدرسة وادي سيدنا أكثر وضوحاً مقارنة مع مشاركاته في الأنشطة الأخرى. وكان يقرأ كل ما يقع تحت يده من مطبوعات، فصار لديه محفوظ ضخم من الشعر والنثر والأمثال وقرأ لأدباء وكتاب كبار إلا ان تركيزه الأكبر كان على قراءة مؤلفات العقاد وظهر ذلك في كتابات أبو سليم الذي يميل إلى الاقتضاب والتركيز علي الأسلوب والمنهج⁽⁶⁾.

ثم التحق بكلية الخرطوم الجامعية حيث تخرج في عام 1955م متخصصاً في التاريخ والتحق بخدمة محفوظات السودان والبلاد تتجه نحو الاستقلال فأصبح أول مديراً سودانياً لها، وتطورت على يديه لتصبح من اعظم دور الوثائق على مستوى العالم بفضل مجهودات أبو سليم والطاغم المؤهل ذو كفاءة أكاديمية وعملية فائقة، تعاقبوا للعمل في دار الوثائق القومية السودانية.

وخلال حياته العملية ساهم أبو سليم في تنظيم دار الوثائق القطرية ودار الوثائق الإماراتية وترأس الجمعية التاريخية السودانية أكثر من دورة، كما ترأس عدداً من اللجان القومية، منها لجنة تقسيم المديرية الجنوبية والشمالية ولجنة تنظيم الخرطوم، وعمل استاذاً زائراً في جامعة بيرجن النرويج، وأشرف على عدداً من الرسائل الجامعية واستطاع بذكائه المعهود واطلاعه الواسع ان يرشد إلى بعض الوثائق التي ساهمت بشكل حاسم في إعادة منطقة طابة، المتنازع عليها، من براثن اسرائيل إلى مصر، والمتبع لشخصية أبو سليم عندما يتحدث باللغة النوبية، وهي لغة أهله في شمال السودان، أول ما يتبادر إلى ذهن الشخص المستمع أنها اللغة الوحيدة التي يتحدث بها وكذا، الحال بالنسبة للغتين الإنجليزية والعربية⁽⁷⁾.

ومن خلال ما عرض نستطيع أن نخلص بأن المؤثرات التي ساهمت في بناء شخصية أبو سليم المؤرخ تتمثل في النقاط التالية:

أولاً: المنطقة والبيئة التي نشأ فيها في شمال السودان وهي منطقة ذات حضارة قديمة راسخة تعود إلى ما قبل الميلاد وجل أهل هذه المنطقة يهتمون بالتاريخ والآثار.

ثانياً: اكتساب المهارات العلمية والثقافية وذلك من خلال الأجواء التي تهيأت له من خلال المراحل التعليمية المختلفة التي درس بها.

ثالثاً: عمله بدار الوثائق السودانية والطاغم المعاون له.

رابعاً: صبره وحبه للتاريخ والوثائق خاصة فترة المهديّة.

كل هذه النقاط وغيرها ساهمت بشكل أساسي في شخصية أبو سليم الذي استطاع أن ينتج لنا هذه المجموعة العظيمة من المؤلفات التاريخية. نتجته معاناة طويلة وحميمة للمواد التي تناولها بالبحث وفي نفس الوقت استطاع أن يطوع معلوماته الواسعة وأن يجعلها في إطار الحدود الدقيقة للموضوع محل الدراسة ومن الواضح أنه قد تملك نواصي موضوعه وتضلع فيه تضلعاً تاماً، وقد تناوله في يسر وسلاسة وأظهر أنه مقتدر تماماً في الأوجه الفنية لموضوعه.⁽⁸⁾

وفي إطار الحديث عن بحوث أبو سليم في المهديّة تشير عواطف عمر عبد الله⁽⁹⁾ بأنه عني بحكم المهنة وبحكم وجود الكم الهائل من وثائق المهديّة المحفوظ بدار الوثائق القومية بتاريخ المهديّة حيث تعامل بصورة مباشرة مع أدبياتها المؤلفة. والوثائق التي صدرت في عهدها.

أبو سليم وبحوثه حول المهديّة:

بدأ أبو سليم كتاباته عن تاريخ الدولة المهديّة من خلال رسالته التي أعدها لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ من جامعة الخرطوم، هذا البحث الذي قدمه في الأصل لنيل درجة الماجستير إلا أن اللجنة الممتحنة رأت أن هذا البحث يرتقي لدرجة الدكتوراه، وذلك لأصالته وجودته الذي اعتمد على الوثائق الأصلية، وقد وصف البروفسير ب.م هولت، رسالة الدكتور أبو سليم بأنه صرحاً شامخاً في البحث العلمي استخدم فيه الباحث مخطوطة النجوم كنواة لبحثه، وأقام عليها بناءً علمياً كبيراً أنطوى على معلومات حية اكتسبها عن المهدي أم عن خليفته أم عن أمراء المهديّة، وقد نجح إلى درجة كبيرة في أن يصور للقارئ فترة المهديّة بتياراتها ونظمها المختلفة، كأفضل ما يكون التصوير مما جعله حجة في تاريخ دولة المهديّة ومرجعاً لكل من يتناول هذه الفترة بالدراسة أو التحليل⁽¹⁰⁾. ويعتبر كتاب الحركة الفكرية في المهديّة أول كتاب يصدر للدكتور/ محمد إبراهيم أبو سليم، وقد أشار في تصدير الطبعة الأولى بأن هذا البحث جزء من رسالة الدكتوراه، وهو في الأساس حول مخطوط توشكي المنسوب إلى

الأمير عبد الرحمن النجومي ولكن الكتاب امتد ليشمل قضايا عامة تتصل بالحركة الفكرية والثقافية في فترة المهديّة⁽¹¹⁾.

وقد أشار أبو سليم، بأن فكرة المهديّة فكرة قديمة وقد ظهرت في تاريخ الإسلام وهي تستند إلى بعض الأحاديث التي رويت عن النبي، وبعض تأويلات لبعض الآيات ويلاحظ أن لفظ المهدي نفسه لم يرد في القرآن، كما يلاحظ أن الأحاديث عن المهدي لم ترد في كتب الأحاديث المتشدة، كصحيح مسلم وصحيح البخاري وإنما وردت في الكتب غير المتشدة، كسنن أبي داؤود ابن ماجة والترمذي والنسائي. ومن الناحية الاجتماعية والسياسية، تعتبر المهديّة حركة ذات دلالة بعيدة لأنها مظهر من مظاهر المعارضة للنظم القائمة، تشتد كلما أشدت الظلم والاضطهاد، وكانت دائماً شعار المضطهدين والمغلوبين على أمرهم، وجنة موعودة ترضي خيالهم وتشبع رغباتهم المكبوتة وطموحهم إلى المثالية المطلقة في العدل والقضاء المبرم على العدو. وقد سمع المسلمون في السودان كغيرهم من المسلمين بفكرة المهدي المنتظر، وانتظروا مجيئه أياً كان ظهوره، وقد وجدت فكرة المهدي المنتظر رواجاً في السودان في الربع الأخير من القرن التاسع، وأن الكثيرين قد باتوا ينتظرون ظهور المهدي وكان من الأسباب الداعية إلى ذلك الظلم الذي كان سائداً وسوء الإدارة التركية في السودان⁽¹²⁾. وخلال هذا الجزء من الكتاب أشار محمد أبو سليم إلى نشأة محمد أحمد المهدي وحياته بالإضافة إلى إعلان المهديّة ومسارها إلى وفاته، ثم تتناول جزئية أخرى عن الخليفة عبد الله وعصره والمشاكل التي واجهته، مشكلة الإشراف والثورات القبلية بالإضافة إلى تناول السياسة العامة لدولة المهديّة خلال فترة حكم الخليفة عبد الله إلى نهاية دولة المهديّة. وفي الفصل الثاني تناول المخطوطات التي ناقشت ودارت حول المهديّة والمهدي سلباً وإيجاباً بين علماء ذلك العصر:

1. قصيدة الشيخ محمد شريف نور الدائم.

2. رسالة الشيخ الأمين محمد.

3. رسالة شاكر الغزي.

4. رسالة أحمد الأزهري.

5. رسالة الحسين زهراء.

6. رسالة العبادي.

7. رسالة أحمد العوام.

وأختتم الباب الأول بالفصل الثالث عن تصور المهدي واستدل أبو سليم ببعض منشورات المهدي حول هذا الموضوع: (...فعليكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ،

فاعملوا بالقرآن والحديث الصحيح، فهذا الذي فن عليهما، واقتدوا بأقوالنا، ففي ذلك الوفاء بكل ما طلبتموه من الفرائض والسنن والأدعية وغيرها⁽¹³⁾. وفي الباب الثاني ومن خلال فصوله الأربعة تناول أبو سليم العديد من الموضوعات الخاصة بالمهدي وآثاره خاصة مساره في التعليم من خلال الخلاوي التي درس فيها مما اهله أن يكون ذو ثقافة دينية عالية، وفكراً ثاقباً ومقدرة عالية في الكتابة، وكانت رسائله قصيرة تعالج كل منها موضوعاً واحداً، وبلغت تلك الرسائل من حيث البناء والأسلوب درجة عالية من الجودة، ولا تجد الرسالة في تاريخ السودان من الاحتفال ما بلغته على يد المهدي واتباعه (14)، وفي الباب الثالث من كتاب الحركة الفكرية في المهديّة تناول أبو سليم أسماء الشخصيات التي كان لها أثر في دولة المهديّة من رجال دولة وعلماء دين، كما تناول في الباب الرابع الجانب الخاص بالوثائق والمؤلفات الخاصة بدولة المهديّة.

يعتبر كتاب الحركة الفكرية في المهدي بمثابة وعاء ضخم وضع فيه أبو سليم كل ما يختص بدولة المهديّة وكان هذا الكتاب بمثابة مقدمة أو تمهيد لجميع البحوث والكتب التي وضعها الدكتور أبو سليم عن دولة المهديّة. وأيضاً من الكتب التي وضعها أبو سليم نجد المرشد ألي وثائق المهديّة وهو كتاب يقع في مجلد كبير أشار فيه ألي مناطق وجود الوثائق الخاصة بالمهديّة في جميع أنحاء العالم تفاصيلها:

1. وثائق مكتبة جامعة درم وهي مجموعة وثائق متنوعة محفوظة في الصناديق (29، 31، 32، 33، 34، 36، 37، 2/98، 2/1/100 و 4/1/00 مجموعة المجذوب مجموعة الفيوضات الوهية، تصنيف عوض الكريم المسلمي ج 1-4 .
2. وثائق محفوظة في المتحف البريطاني وهذه المجموعة عبارة عن وثائق متبادلة بين غردون من جهة والمهدي وامراته من جهة أخرى، وهي محفوظة على يوميات غردون (15).
3. وثائق جامعة كمبرج (انجلترا).
4. وثائق جامعة بيل (الولايات المتحدة الأمريكية).
5. وثائق دار الوثائق الفرنسية وهي معروفة بمجموعة باريس.
6. وثائق المعهد الافريقي بالقاهرة.
7. وثائق جامعة الخرطوم، مجموعة الجبري (مع تاريخ حسين الجبري).
8. وثائق الهند: وهي موجودة في المكتبة الاصفية في جنوب الهند، ولاية حيدر آباد.
9. وثائق مصلحة الآثار السودانية.

بالإضافة إلى الإشارة إلى وثائق دار الوثائق السودانية وبعض الوثائق الخاصة بالدولة المهديّة التي يمتلكها أفراد ورد ذكر اسمائهم في هذا المرشد الذي أصبح الطريق الذي ينير ويوجه الباحثين في تاريخ المهديّة إلى الاتجاه الصحيح. وأيضاً صدر كتاب منشورات المهديّة عن دار الجيل بيروت في عام 1979م وهو يحتوي 107 من المنشورات والخطابات المتبادلة والتي أرسلها المهدي إلى أشخاص ومناطق متعددة بالإضافة إلى الفتاوى والمواظع الدينية (16). وفي هذا الكتاب استطاع الباحث والمؤرخ أبو سليم تتبع النظم الإداريّة والتيارات الفكرية لفترة المهديّة، بحيث يخرج القارئ من خلالها بفكرة مجملة وموثقة لفترة المهديّة (17).

أما كتاب الآثار الكاملة فقد صدر في سبعة مجلدات، احتوت على ما صدر من المهدي مكتوباً أو مقولاً، ورتبها ترتيباً زمنياً وضبطها وحققها بدقة. وحوى الآثار الكاملة على فهارس علمية دقيقة للآيات القرآنية والأحاديث والإعلام والبلدان والاصطلاحات مما وفر عناء البحث عن أصول بعض الوثائق الأصلية والمصنفات للباحثين (18). ويمكن أن نوجز ما ورد في مجلدات الآثار الكاملة في النقاط الآتي (19) :

الخطاب وهو مكتوب موجه إلى الأفراد وصغار الأمراء في أمور صغيرة وتشكل الأوامر الإداريّة طرفاً كبيراً من هذه الفئة والأغلب من الخطابات كبيراً من هذه الفئة والأغلب من الخطابات من اعداد كتاب المهدي وبالأخص صغارهم.

الرسالة وهي موجهة إلى شخصيات لها مكانة أو جماعات في قضايا ذات دلالة ارشادية ومثال لذلك كتاب الإنذارات وأغلب الرسائل بقلم المهدي وعداها من اعداد كبار كتّابة، وتحتل الرسائل خبر مصدر لعلاقات المهدي ورجال المجتمع وفئاته. المنشور ومنه المنشور الخاص الموجه إلى فئة من الناس كالمحاربين في جهة والمتعاملين في الأسواق وإلى الأمراء ومن دونهم في الرايات.

فئة متنوعة كتوقيعات على الوثائق المرفوعة آلية وأهمه توقيعاته على مذكرات أمين بيت المال والحواشي عن مذكرات أمين بيت المال والحواش التي أضافها على ما كتب الكتاب.

أدبيات دينية (منشور الصلاة ومنشور حياة الدين الكبرى ومنشور الصائم والأدعية والراتب)

الحضرات وهي سجل لحادث وقع في عالم الروح وترد في شكل الرؤى وهي موجودة في أغلب حضرات المهدي في ثانيا المراسلات مرتبطة بحوادثها وظروفها.

الخطب وهي في الناحية الوعظية في موضوعات كالجهاد والزهد والتقوى والعمل للأخرى.

المرويات وهي أقوال رويت عن المهدي بعد وفاته:

ويعتبر الآثار الكاملة سفر عظيم ويساعد الباحث في معرفة الثورة المهديّة، وتحديد الأبعاد الحقيقية لشخصية المهدي كقائد ثوري وإنسان عظيم واسع الأفق استطاع أن يوظف الطاقات الثورية للتصوف في تفجير ثورة عظيمة في تاريخ السودان الحديث وهي توحى بأفكار ودراسات كثيرة حول المهديّة⁽²⁰⁾.

المرويات وهي أقوال رويت عن المهدي بعد وفاته:

ومن المخطوطات التي قام بتحقيقها ونشرها سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي من أعداد اسماعيل بن عبد القادر الكر دفاني⁽²²⁾. وقد اعتمد على الروايات الشفهية ممن شاركوا في الأحداث والوقائع بالإضافة إلى الوثائق المكتوبة. وهو يتناول نظرة المهدي والخليفة وقيادات الأنصار للحوادث والقضايا التي مرت بهم والمنظمات التي نظروا به إلى الوقائع والأحداث⁽²¹⁾. وأيضاً من الكتب التي قام بتحقيقها أبو سليم بالتعاون مع محمد سعيد القدال، مخطوط الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الجيوش. لمؤلفه اسماعيل عبد القادر الكر دفاني ويتناول الحوادث التي وقعت بين الأنصار والأحباش في منطقة القلابات ما حولها وداخل الأراضي الحبشية⁽²²⁾. وفي مؤلفه الختم الديواني في السودان أشار أبو سليم إلى الختم في عهد المهديّة الذي كان علامة من علامات الإثبات الدالة على صحة ما جاء في الوثيقة وجعله في ذيل الرسالة، وكان شكل ضخم المهدي مسطح ترد فيه بعض النقوش وهو بمقبض يربط به وليس على خاتم يكون في الأصبع وقد استعمل المهدي أربعة اختتام متتابعة، كان الختم الأول خلال الفترة (1292 هـ/ 1295 - 1875 م - 1878 م). وذلك عقب اجازة استاذة الشيخ محمد شريف لإعطاء الخلافة لمن يستحق من المريدين، ثم جاء الختم الثاني الذي حل محل الختم الأول في تاريخ غير معروف، وشكل الحجم مسطح بيضوي يبلغ طوله 2 سم وعرضه أقل من ذلك قليلاً وهو شبيه الأول في نقشه تماماً وظل مستخدماً حتى 1299 هـ/ 1882 م، أما الختم الثالث وهو مضلع الشكل ويبلغ طوله العمودي 26 مليمتراً وطوله الأفق 28 مليمتراً وقد نقش في وسطه اسم المهدي (محمد المهدي عبدالله) وفي أعلى الختم (لا إله إلا الله) وفي أسفله (محمد رسول الله) وفي الطرف الأيسر البسملة وفي الطرف الأيمن التاريخ وهو العام 1299 هـ - الختم الرابع كان دائري الشكل، وأبعاده أفقياً وعمودياً 22 مليمتراً ويتكون نقشه من أربعة أسطر، وبدأ العمل بهذا الختم في ربيع الثاني سنة 1301 هـ/ يناير 1884 م وأستمر حتى وفاة المهدي. وقد استعمله الخليفة عبد الله بعد وفاة المهدي في محرراته حتى أواسط شعبان 1302 هـ

ومن ثم اتخذ ختمه وهو بيضوي الشكل كتب فيه (حسبنا الله ونعم الوكيل) ⁽²³⁾. وأيضاً من الكتب التي تناول فيها أبو سلم تاريخ المهديّة كتاب (الأرض في المهديّة) (24). ومذكرات عثمان دقنه - دفتر وقائع عثمان دقنه (25). وساهم أبو سليم بأبحاثه حول المهديّة في كثيراً من الصحف والمجلات المتخصصة وشارك بأوراق علمية في كثيراً من المؤتمرات نذكر منها على سبيل المثال (المؤتمرات العالمي لتاريخ المهديّة والذي عقد بالخرطوم 29 نوفمبر - ديسمبر 1981م) وكان عنوان الورقة العلمية التي قدمها أبو سليم (نعم شقير وتاريخ المهديّة) وأيضاً له منشور في مجلة الخرطوم بعنوان (مراكز الثقافة في المهديّة) (26). ومن المخطوطات التي قام أبو سليم بتحقيقها عدداً من الرسائل لعلماء ذلك العصر الذين أيدوا المهديّة، ودافعوا عنها وقد ورد ذكرهم عندما تناولنا كتاب الحركة الفكرية في المهديّة، ونسبة لأهمية هذه المخطوطات رأينا أن نشير إليها ولو بطريقة مقتضيه. فقد نشر الدكتور أبو سليم فتاوي الحسين زهره، في كتاب بعد ان قام بجمعها وتحقيقها، حملت عنوان (عالم المهديّة، الحسين ابراهيم زهره).

تناول فيها السيرة الذاتية لهذا العالم الجليل في مقدمة الكتاب، كما تناول سلسلة من الفتاوي والمنشورات دفاعاً عن المهدي، وقد ظهر ذلك جلياً في الفتوى التي أوردتها رداً على محمود الخبير وهو أحد كبار العلماء رداً على سؤال حول حقيقة المهدي والموقف الذي يراه فقال حسين زهره! إن ادراك هذا الأمر يستحيل حتى على اقدر العلماء من امثال محمود الذي هو في مصاف الزمخشري، لأنه لا يقبل النظر بموازين العلماء من أصول وفروع وقياس واستنباط وما إلى ذلك من مقاييس العلم وذلك لأن مسند المهدي باطن مؤداه أنه تلقى المهديّة من الرسول مباشرة في صغره، كيف لنا ان نقيس هذا القول بمقياس العلم، أن مسند العلم ومسند المهدي لا يلتقيان وليس في مقدور العالم أن يؤيده او يعارضه بمقياس العلم، فالأمر أمر معرفة باطنية على منحي المهدي أو مجرد إيمان وليس امر يقوم ويذهب بأدلة بينها علم، ومن جانب فإن صدق المهدي قد ثبت بعلاقات من أسرار ووقائعه بما لا يقبل التردد أو التشكك، فالسعيد من أتبعه والشقي من خالفه وهو ناصح له بما يتبع فلا يفوتن عليه النصح فيندم. (27) وفي معرض رد الحسين زهره لدفع الله (28) يرى زهره بأن محمد أحمد قد جاء بأمر يصعب القطع فيه على وجه اليقين، يستوي في ذلك العالم والجاهل وانه هزم كل ثوابت المجتمع وان الناس افترقوا بين مصدق ومكذب ومتحير، ولكن محمد أحمد رجل مأمون لا يظن فيه الكذب لما عليه من العراقة والديانة والأمانة. من نشأته وإلى

قيامه بهذه الدعوة وإن الله أيده بعلامات من أسرارهِ وهو له المشيئة والقدرة أن يجعل سره حيث يشاء والقول الفصل فيه أنه يجب على كل مؤمن مبايعته ومرافقته ومؤازرته ومناصرته، فإن كان المهدي حقاً فزنا بهذه المرتبة العظمى. وإن كان غيره فزنا معه على الإقبال على الله تعالى بالدين القويم والصراط المستقيم. فالهمم عنده هو إقامة الدين القويم، أما الأمر الآخر أي مهديّة المهدي، فليس واثقاً منه وإن كان يتفق في شخص المهدي ويرى ما يؤيد صدقه من علاماته⁽²⁹⁾.

أما كتاب نصيحة العوام والعلاقة بين الثورتين المهديّة والعربيّة للدكتور محمد إبراهيم أبو سليم فقد صدر عن شركة دار البلد للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع في طباعة شعبية وهذا الكتاب غير معروف لدى بعض الأكاديميين والعامّة وقد أورد أبو سليم المخطوط الذي قام بتحقيقه محمد رشدي حسن عميد كلية الآداب في جامعة القاهرة فرع الخرطوم، في الحركة الفكرية، وحول هذا الكتاب يرجع أهميته ويقصد في ذلك أحمد العوام إلى أهمية مؤلفه وأهمية ما يتضمنه من قضايا وموقف وأهمية ما اكتشفه أبو سليم من تدخلاته وتشويش، ويشير أبو سليم بأنه لولا التدخل لاكتف بما أوردته في الحركة الفكرية في المهديّة من تقييم. ويشير أبو سليم بأن أحمد العوام كان لا يقر جانب المهدي من ثورة المهدي فإنه يرى في الحرب الفاتحة نمطاً من فساد السلطنة العثمانية والخيوية وإتجاهها إلى التسلط والجبروت بدلاً من الأحكام إلى الشرع والتعامل بما يقتضيه إزاء الخوارج والبغاة، على وجه الآية التي ينقلها. وقد جاء صوته مختلفاً عن أصوات غيره من المصريين في أنه يرى لأهل السودان حقاً في الثورة على الخديوي مثلما للمصريين وقد ذهب إلى أن الثورة المهديّة ليست ثورة بغاة أو خوارج وإنما هي ثورة الشعب كله، فكأنه أعطى من جانب الشريعة للشعب حق الخروج على الإمام إذا فسد واثبت حق أهل السودان على الثورة على حكم لا يرضونه، وهو لا يقبله المؤرخون المصريون إلى اليوم، وموقف العوام الثابت هو أنه ضد الخديوي في مصر والسودان، بينما مؤرخو مصر يهاجمون الخديوي في مصر ويدافعون عنه في السودان. ومع أنه لا يؤيد فكرة المهديّة، فإنه يحترم المهدي وثورته من حيث أنه يريد أن يحتكم في شأنها إلى العلم والعلماء ويحترم نفسه. إذ أرجأ حكمه حتى يقابل المهدي ويرى حاله ويكون على يقين مما يقول⁽³⁰⁾ ويقع مخطوط (نصيحة العوام) في خطبه وخمسة فصول وخاتمه. إلا أن القدر الأكبر من الفصل الرابع ليس من العوام وإنما هو إضافة من الحسين زهرا والفصل الخامس كله من زهرا. أيضاً،

وهناك تعقيب من زهرا على نصيحة العوام جاء ملحقاً عند طبعه عطية المهديّة الحجرية، اكمل به مشروعه ينقل النصيحة من موقفه الخاص إلى موقف موال إلى المهديّة⁽³¹⁾ وفي هذا الكتاب اشار أبو سليم إلى آراء المؤرخون حول نصيحة العوام حيث كتب عنها كل من ابراهيم فوزي⁽³²⁾ ونعوم شقير⁽³³⁾ والقباني والدكتور محمد رشدي حسن والدكتور ابراهيم شحاته وقد أنتقد أبو سليم هذه الآراء⁽³⁴⁾ تم عرض أبو سليم المخطوطة كما هي ومن غير العادة في كتب أبو سليم كانت الحواشي والتعليقات والتعريفات في نهاية الكتاب بدلاً من أسفله. وكانت آخر الكتب التي دونها الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم هو (الخصومة في مهديّة السودان) طبع هذا الكتاب عقب وفاته. وقد احتوى هذا الكتاب على العديد من الرسائل المتبادلة ما بين المهدي وأنصاره من جهة ومعارضيه من جهة أخرى، كما احتوى الكتاب على الصراعات التي اندلعت في عهد الخليفة عبد الله التعايشي خاصة القبلية منها. وكانت فتوى علماء الخرطوم التي أصدرها مجموعة العلماء (الشيخ الأمين الزيرير رئيس علماء السودان، شاكر أفندي الغربي مفتي استئناف السودان، موسى محمد مفتي الخرطوم وحسين المجدي مدرس العلم بجامعة الخرطوم، محمد خوجلي قاضي عموم السودان).

جاء في الفتوى: (فاله قاصم من عاند دينه، والمعاند للدين فيما يعني العلماء هو المهدي واتباعه، والسلام على من شادوا قواعد الدين وحفظته وخدامه المنافحين لها يقوم به المهدي من هدم)⁽³⁵⁾

واحتوى كتاب الخصومة في مهديّة السودان على فتوى جماعة الأزهر الشريف التي صدرت في 18 ذو القعدة 1300 هـ / 20 ديسمبر 1883م الموقعون عليها (الشيخ محمد العباسي المهدي، شيخ الجامع الأزهرى وستة من علماء الشافعية وعشرة من علماء المالكية واحد عشر من علماء الأحناف)⁽³⁶⁾

بدأ صلب الفتوى بالبسملة والحمد لله تم فقرة قصيرة من التمهيد للفتوى وبيان ما تنتهي إليه، وانهم اطلعوا على الجواب فوجدوا ما تضمنه معارضاً للكتاب والسنة ومخالفاً لها عليه أئمة الأمة المحمدية، ثم ذهبوا يعددون الأمور التي ذكرها المهدي في رسالته واعترضوا عليها واحداً واحداً. وبدأوا بالخال في خذه الأيمن وقالوا انه مما يشترك فيه معه كثيراً من الناس، ثم قالوا أن راية النور التي يحملها عزرائيل في حالة حربة غير محسومة، وبالتالي لا يؤخذ بها ثم تكلموا عن الخوارق التي ذكرها وقالوا ان الخارق ليس دليلاً على الولاية وأنه لا ينتقص القواعد الكلية ولا تبني عليها الأحكام الشرعية في وصول رؤيته للنبي بقوله وأخذه المهديّة عنه أن رؤية النبي بعد

موته ولو يقظه كرؤيته مناماً ولا مناط بها أحكام شرعية وحتى إذا تمت الرؤية وجرى ما ذكره فإن القاعدة الأساسية الا تكون الخلافة ولو للمهدي، إلا بمبايعة أهل الحل والعقد أو بعهد الخليفة الذي قبله وهذا ما لم يحصل للمهدي وأشار علماء الأزهر بأن الرؤية التي ذكرها المهدي تتعارض مع حديث السيدة ام مسلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حديث في تقديرهم قاطع لعروف الاشتباه في أمر المهدي. وقد بينوا فيه من علامات المهدي في مكان المولد ومكان الظهور وكيفية الظهور ومناسبته وكيفية البيعة له وما يحصل ذلك من أمور⁽³⁷⁾ وقد يرى العلماء المؤيدين للمهدي في تفنيد الرد على هذه الفتوى، وقد أشرنا إليها سابقاً ولذلك نرى لا داعي للتكرار.

الخاتمة:

ساهم أبو سليم ومن خلال أبحاثه المتنوعة، في توفير الوثائق الخاصة عن تاريخ المهديّة واستطاع من خلال هذه المؤلفات التي تناولت جوانب مختلفة عن الحركة الفكرية للمهديّة جذورها ومصدرها وأسباب قيامها بالإضافة إلى شخصية المهدي ومن معه وإبرازه الدراسات في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيأن يوفر الباحثين عناء البحث والسفر عن تاريخ هذه الحركة الوطنية ذات الطابع الديني.

الهوامش:

- (1) ولد في وسط السودان، عمل بجامعة الخرطوم له العديد من المؤلفات التاريخية منها السودان عبر القرون، السودان في قرن، السودان والثورة المهدية.
- (2) عمل استاذاً للتاريخ في جامعة أم درمان الإسلامية، له من المؤلفات (السودان في عهد الخديوي اسماعيل) السودان خلال فترة الحكم التركي والمهدية.
- (3) عمل استاذاً للتاريخ في جامعة الخرطوم له العديد من الكتب المنشورة (تاريخ السودان الحديث) (الإمام المهدي لوجه لتأثر سوداني) (المهدية والحبشة) (السياسة الاقتصادية للدولة المهدية).
- (4) ومن أبحاثه الأخرى (تاريخ الخرطوم) (الساقية) (الفونج والأرض) (الفور والأرض) (أدوات الحكم في السودان).
- (5) عواطف عمر عبد الله، البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم، تحية في يوم تكريمه، الخرطوم 1998م، ص 5-6.
- (6) المرجع نفسه، ص 7.
- (7) عبد العزيز محمد موسى، المؤرخ السوداني محمد إبراهيم أبو سليم، تاريخ الوثائق في السودان، مجلة العربي العدد 655، نوفمبر 2008م، ص 23.
- (8) نقلاً عن غلاف كتاب الحركة الفكرية في المهدية الطبعة الثالثة 1989م.
- (9) تخرجت في جامعة الخرطوم وعملت في دار الوثائق السودانية وتقلدت العديد من المناصب الإدارية فيه إلى ان وصلت نائب الأمين العام لدار الوثائق وهي من الذين ساهموا بشكل كبير في مؤلفات أبو سليم، سواءاً بتصحيح اللغة العربية أو الترجمة إلى اللغة الإنجليزية وهي التي أعدت كتاب البروفسير محمد إبراهيم أبو سليم تحية في يوم تكريمه عام 1998م، وقد اعتمد عليه الباحث كثيراً.
- (10) عواطف عمر عبد الله، المرجع السابق، ص 16.
- (11) محمد إبراهيم أبو سليم، الحركة الفكرية في المهدية، الطبعة الثالثة، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1989م.
- (12) المرجع نفسه، ص 17، 11، 19.
- (13) المرجع نفسه، ص 86.
- (14) المرجع نفسه، ص 97 - 98.
- (15) محمد إبراهيم أبو سليم، المرشد أي وثائق المهدية، دار الوثائق المركزية 1969م، ص 2.

- (16) محمد إبراهيم أبو سليم، منشورات المهدي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية 1979م.
- (71) عواطف عمر عبد الله، المرجع السابق، ص 19.
- (18) المرجع نفسه، ص 19 - 20.
- (19) محمد إبراهيم أبو سليم، الآثار الكاملة للإمام المهدي، دار جامعة الخرطوم للنشر، المجلد الأول، ص 15، 16، 17.
- (20) تاج السر عثمان الحاج، دراسات في التاريخ الاجتماعي للمهدية 1881-1898م
- (21) مركز عبد الكريم ميرغني، 2010م، ص 199.
- (22) عواطف عمر عبد الله، المرجع السابق، ص 20.
- (23) المرجع نفسه، ص 20.
- (24) محمد إبراهيم أبو سليم، الختم الديواني في السودان، المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف، 1983م، ص 53، 52، 54.
- (25) نشر عام 1970م، شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم.
- (26) نشر هذا الكتاب عام 1975م، دار جامعة الخرطوم للنشر.
- (27) محمد إبراهيم أبو سليم، مراكز الثقافة في المهدية، مجلة الخرطوم، 6 يناير 1968م.
- (28) محمد إبراهيم أبو سليم، عالم المهدية، الحسين إبراهيم زهرا وأعماله، المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م، ص 33-34.
- (92) من العلماء المشهورين في ذلك الوقت وكان ذو مكانة عالية في العلم وهو من المعارضين للمهدية.
- (30) محمد إبراهيم أبو سليم، عالم المهدية الحسين إبراهيم زهرا، المرجع السابق، ص 35.
- (31) محمد إبراهيم أبو سليم، نصيحة العوام والعلاقة بين الثورتين المهدية والعربية، شركة دار البلد للطباعة والنشر والتوزيع، ص 1-2.
- (23) المرجع نفسه، ص 3.
- (33) عسكري مصري عمل بالسودان أصدر كتاب السودان بين يدي غردونوكتشنر.
- (34) سوري جاء إلى السودان وكان يعمل في الاستخبارات له كتاب (جغرافية وتاريخ السودان).

- (53) محمد إبراهيم أبو سليم، نصيحة العوام، المرجع السابق أنظر الصفحات 18، 19، 20.
- (63) محمد إبراهيم أبو سليم، الخصومة في مهديّة السودان كتاب في تاريخ فكرة المهديّة إسلامياً وسودانياً إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، 2001، ص 312.
- (37) المرجع نفسه، ص 317..

الفصل الخامس

الآثار الكاملة للإمام المهدي
دراسة في المحتوي والمحتويات
على ضوء ما جمعه البروفسور محمد
إبراهيم أبوسليم

الآثار الكاملة للإمام المهدي

دراسة في المحتوى والمحتويات

على ضوء ما جمعه البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم

قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الجزيرة

د. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي

المقدمة:

ظل هدف جمع وتحقيق ونشر آثار الآثار الكاملة للإمام المهدي حُلماً يراود جميع المهتمين بجمع وثائق تاريخ السودان، حتى تحقق صدورها في أربع مجلدان منشوره عن دار جامعة الخرطوم للنشر تباعاً، وتتضمن هذه الأسفار خطابات محمد احمد المهدي ومنشوراته الخاصة والعامة والخطب والحضرات والراتب والمجالس، وقد تم ترتيب المادة زمنياً وقد أورد المحقق تعليمات وشروحات واحالات تساعد القاري، واورد مضان الأصول، ووضع مرشداً مستوفياً لهذه الآثار ومصادرها ومراجعها، ويرد في المجلد الرابع سجل وصور لآثار المهديّة وتراثها وفهارس كاملة للأعلام والبلدان والمصطلحات والأحاديث.

التعريف بالمحقق:

البروفيسور محمد إبراهيم أبوسليم ولد بقرية (سركمتو) بريفي حلفا في شمال السودان، وقد تخرج في كلية الخرطوم الجامعية في عام 1955م، والتحق بخدمة محفوظات السودان التي تطورت على يديه حتى صارت دار الوثائق القومية (بالخرطوم) ونال درجة دكتوراه الفلسفة في جامعة الخرطوم، وله العديد من المؤلفات التي شكلت المادة الأولية للباحثين في تاريخ السودان الحديث وفي الإجتماع والتراث والأدب والتراث و في علم الإرشيف باللغة العربية و اللغة الإنجليزية، وتم تكريمه من العديد من المؤسسات العلمية والسياسية ونال العديد من الأوسمة وجوائز الدولة التقديرية.

الملاح العامة لمحتويات المجلدات:

المجلد الأول: يتكون المجلد الأول من (173) قطعة (وثيقة) من منشورات الإمام المهدي الصادرة لكافة فصائل المجتمع السوداني، وقد خاطب الإمام المهدي في أحد وثائق هذا المجلد (كتاب الأحكام) بضروره الإهتمام باللغة وضروره الكتابة السليمة قائلاً (فمن العبد الفقير إلي ربه محمد المهدي بن عبد الله إعلماً منه لجميع (كتباء) أحكام المهديّة وأنصار الدين، نعلمكم به أن الله سبحانه وتعالى وتعالى قال في كتابه أحسنوا إن الله يحب المحسنين، (البقرة-195) وحيث فهمتم ذلك فلا بد من إحسان الخط وتجويفه وعدم تغيير الحروف وقلب معانيها، فقد أهلك الله المغيرين ودمرهم فأتركوا خطهم ولا تسلكوا سنتهم ، وأظهروا السين من بسم الله الرحمن الرحيم، الخ).⁽¹⁾

كذلك إهتمت المجموعة برصد حياة و نشاط المهدي خلال سلوكه الطريقة السمائية في مرحلة ما قبل المهديّة واوردت اجازته وتسليكه وتقديمه لمجموعة من طالبي الطريق والذين يستحقون التقديم، بالإضافة لبعض المنشورات الباكره له في مرحلة الدعوة المهديّة السريّة وذلك من خلال منشوراته لشيخه وأستاذه في الطريقة السمائية الشيخ محمد شريف نورالدائم وقد دعاه للإيمان بمهديته التي قد قال عنها رسول الله ﷺ (إن مهديتك لاشك فيها) ويقول ص مراراً (إن من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله، وأن الله قد جعل لك على المهديّة علامتين إحداهما الخال على خدك الأيمن والأخري رؤية من نور يحملها عزرائيل عليه السلام فلا يلقاك احد بعداوة إلا خذله الله تعالى، وقد اردف له (فامر المهديّة هذا قد اطلعك الله عليه قبل كل العارفين في زمانك فأخبرتني واخبرت غيري، كما اخبرني بذلك غيرواحد، وذلك لنور خصك الله به، فكان المأمول أن تكون من أول السابقين والحاتين الناس عليها، وقد أخبرني أبونا القطب الطيب أن لو أخذتك بما كان من غير نصيحة لك يشكوني يوم القيامة عند رسول الله ﷺ وقال إن نصحته فلم يقبل فافعل به ما شئت فأني راضي ومثلك تغنيه الإشارة.⁽²⁾

كذلك من النماذج الهامة التي إحتوي عليها المجلد الأول خطاب الإمام المهدي إلي الحكمدار محمد رؤوف وقد كشف فيه عن مهديته قائلاً (إن دعائي الخلق على تقديم السنة والهجرة بالدين مما عليه الطباع الزمنية أمر سيد الوجود ﷺ والإعلام بأني المهدي المنتظر من سيد الوجود ﷺ مراراً مع الهواتف الإلهية، فمن تبع صار من

المقربين الفائزين ومن خالف خذله الله في الدارين بقدرته التي يعجز من معارضها جميع العالمين.⁽³⁾

كذلك احتوي المجلد الأول على منشورات المهدي إلي طائفة من العلماء والفقهاء، منهم الضو بن سليمان قاضي مديرية فشودة ، والشيخ سليمان، ومحمد الطيب البصير، والشيخ الأمين الضرير والشيخ محمد الداداي، والي قاطبة العلماء والعمد والقراء والمساكين القاطنين بمدينة الأبيض وإلي أحبابه في الله كافة، وقد قال المهدي في هذا المنشور (إني قد كاتبكم لظن الخير فيكم واعلمتكم بالحقيقة التي لا كذب فيها، ولست فيه بمتحيل ولا متصنع، إنما هو الحق الصدق الآتي من الله ورسوله، ومعلوم أنه لا يكذب على الله ورسوله إلا من لا خلاق له عند الله تعالى وقد أخبرني ﷺ مراراً أن من شك في مهديتي فقد كفر بالله ورسوله، ولا تغتروا بالخطب التي التي فيها في ذمنا وتكذيبنا علماء سوء كاحمد بن إسماعيل الولي، وحسين مجدي، والمفتي شاكراً ومحمد ولد حنيك، وولد الدليل، وامثالهم ممن وقع في عرضنا فهؤلاء ممن ادخل الله في قلوبهم النفاق بحب المال والجاه).⁽⁴⁾

كذلك احتوي المجلد على منشورات المهدي للقبائل المنتشرة في كافة ربوع السودان التركي المصري وقتها، مثل قبائل الحلويين المنتشرة في الجزيرة المروية وجزيرة سنار، وقبائل شمال السودان مثل قبائل الجعليين وأبناء حمد المجذوب وقبائل شرق السودان مثل الهدندوة والبشاريين، والي قبائل الفلاته والباقرمي وزغاوة والحرائية والقرعان وكافة القبائل المنتشرة في شمال الفاشر وأهالي الجبال ، بالإضافة لقبائل الدويحية والطريفية.⁽⁵⁾ ومن الفئات التي إستهدفها الإمام المهدي بمنشوراته في المجلد الأول كانت فئة رجال الطرق الصوفية، ومنهم الشيخ برير ود الحسين بمنطقة شبشة، والشيخ دفع الله بقوي احد مشايخ الطريقة التجانية، وحياتي سعيد، والشيخ الطيب محمد المجذوب شيخ الطريقة المجذوبية وكافة فقراء المجاذيب، ومحمد المهدي السنوسي في ليبيا، والشيخ احمد المكاشفي شيخ الطريقة القادرية المكاشفية في وسط السودان في الجزيرة المروية، وكذلك طائفة من العلماء الذين لم يستجيبوا له بل ناهضوا دعوته وهم من اطلق عليهم في منشوره إلي جملة علماء سوء الذين خاطبهم قائلاً لهم (يا علماء سوء تصومون وتصلون وتصدقون وتدرسون مالا تفعلون، فما سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والأمانى وتعملون بالهوى).⁽⁶⁾

الملاح العامة لمحتويات المجلدات: المجلد الثاني:

يقع المجلد الثاني في أكثر من (200) قطعة من منشورات الإمام محمد احمد المهدي وترجع المصادر التي استخدمها المحقق (بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم) إلى مجموعة كبيرة من المصادر المهدوية، والتي من بينها منشورات مطبوعة على مطبعة الحجر في شكل خطابات، وكذلك مصنف يعود لخليفة المهدي مطبوع على مطبعة الحجر، ومصنف وثائق مختلفة بقسم المهدية محفوظ بدار الوثائق بالخرطوم، ووثائق منقوله بخط اليد نقلت بواسطة المخابرات المصرية ومحفوظة بدار الوثائق القومية و كذلك مصنفات منسوبة لعبد الرحمن النجومي واحمد سليمان، كما هناك مصنفات خارج السودان تم إيداعها في مكتبة جامعة كمبودج ومكتبة جامعة بيل بالولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة لمصنف محمد المجذوب بن الطاهر المجذوب محفوظ بالخرانة الوطنية الفرنسية، ومصنف محمد المجذوب ابوبكر، والجزء الأول لمصنف (الفيوضات الوهية) مصنف رسائل عوض الكريم احمد المسلمي، ومصنف رسائل وجد لدي السيد الصادق الصديق المهدي وغير ذلك من المصنفات.⁽⁷⁾

الموضوعات التي تناولها المجلد متنوعه وشاملة لكافة الشرائح الموجودة في المجتمع، التي منها المنشورات التي تتعلق بمعركة شيكان (جردة هكس باشا) و فيها نبوءات تتعلق بتحقيق النصر وقد اصدر أول منشوراته إلى عبد الصمد شرفي يذكره بآيات الله وحقوقه بمناسبة تعيينه أميراً على (منطقة دارا) ويخطره بقدوم جردة هكس باشا، وأن هناك حضرة نبوية بشرت المهدي بالنصر عليها إن شارك أو لم يشارك احد، فقد فقال المهدي في منشوره (واما بخصوص امر الكفرة فقد ورد لنا خبر من حضرته صلي الله عليه وسلم بأن الجردة آتية بكثرة وأنها إنضمن هلاكها وأنها ميتة إن دخلها احد أو لم يدخلها فابشروا بالخير، وبشر أنصار الدين وشمروا بالإستعداد لهذه الأيام بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير) وقد اوصاهم باتقاء الله في الغنائم بأنه (لايرضى لواحد منكم أن يغل في شئ من الغنائم ولو خيطاً أو أبره ومن باب أولي ما فوق ذلك) وبالفعل قد حدث ما حذر منه المهدي بخصوص عدم الغل في الغنائم واردف بمنشور يذكرهم ويشير إلي تباطؤهم في جمع الأسلحة وتغاضيهم عن التعاون مع الخليفة.⁽⁸⁾ وقد أوضح المهدي لهم في منشور آخر بأنه (تابع وليس مبتدع) وإن من يأخذ من الغنائم لنفسه لا يعد من اتباعه إنما هو من أصحاب ابليس والدجال.⁽⁹⁾

وطلب منهم في منشور لكافة احبابه واتباعه عدم سؤاله فيما يفعله أو يريد فعله من الامور المهمة كالغزو ونحوه لما في ذلك من خروج عن الادب قائلاً لهم (أعلموا احبابي رحمكم الله إن من حسن الأدب مع الله ورسوله وأمناء دينه عدم السؤال لهم فيما يفعلونه أو يريدون فعله من الامور المهمة كالغزو ونحوه، كالأمر لا ينبغي إفشاءها وكثير ما يقع السؤال في غير محله فيورث صاحبه الخجل وربما اساءه، فقد تحرر لكم هذا بوجه العموم لكي تلتزموا حسن الادب على أثر الصحابة ومن الآن فصاعداً لا تسألوني عن مقصدي في مثل الامور المذكورة كلية ما دتمت في معيتي.⁽¹⁰⁾

كذلك حملت منشورات المجلد الثاني من منشورات الإمام المهدي العديد من الأوامر الخاصة بغرض تحقيق الضبط والربط وسط المجاهدين الأنصار وحسم حالة الفوضى التي تظهر في بعض الاحيان و معالجتها فوراً، مثل إطلاق البارود والمقذوفات دونما حاجة، فقد خاطب كافة احبابه في الله وانصار الدين أمراء ومقاديم وخلافه بمنع اطلاق السلاح الناري في داخل الديم أو بالقرب منه أو في حال سير الجيش خوفاً من الحوادث، وقد امر بتوقيع العقوبة على من يفعل ذلك بعقوبة الجلد أو قطع المصروف أو منعه من حقه في الغنيمة مع معاقبته على الإصابه بحدّها المعروف، كذلك حذر في منشور من التشبه بالأتراك قال فيه (إن التقوي أساس الدين وطلب منهم أن يتأدبوا في مشيهم وأن يحذروا التكبر ولا يركب احدكم إلا للضرورة، وأن ركوب الخيل لا يكون إلا للجهاد وعليهم أن يتحاشوا التشبه بالأتراك في مسك الاولاد للوسن)، بالإضافة لتذكيرهم بعدم التكالب على الوظائف والسعي لمناصب الولايات، وذكرهم بأن المنصب يضر بصاحبه إذا حاز عليه عن طريق السعي له.⁽¹¹⁾

كذلك من المكونات الاجتماعية الدينية التي خاطبها الإمام المهدي في منشوراته (طائفة الختمية) وقد ورد منشور منه إلي أبوبكر جعفر الميرغني وقد ذكره بأنه وقف على خطابه الذي يدعي فيه التسليم والقبول بالمهدية، والذاكر ايضاً عدم رضائه من قيادة عثمان دقنه، ولومه المهدي لانه خيره بين الهجرة اليه في كردفان وبين اتباع قيادة عثمان دقنه، وطلب منه الهجره اليه في كردفان دون تسويق، ووضح له بأنه ضبط بعض المكاتبات التي تؤكد انكاره للمهدية.⁽¹²⁾ كذلك ورد منشور إلي السيد محمد عثمان بن السيد الحسن الميرغني وقد ذكر المهدي له بأنه خاطبه مراراً بخطابات وانزارات عديدة وأنه لم يتلقي رداً، وطلب منه المهدي أن يصدق به ويتبع

مهديته، وخاصة أنه سمع إشارة والده محمد الحسن الميرغني إلي مهديته، وقد خيره ما بين الهجرة اليه في كردفان أو الانضمام إلي الطاهر المجذوب وعثمان دقنة للجهاد معهما.⁽¹³⁾

كذلك من ابرز الذين خاطبهم الإمام المهدي في منشوراته ابن عمه محمد خالد زقل في كثير من الخطابات المباشرة بالإضافة لمجموعة من الخطابات الأخرى لغيره وكان هو موضوعها، فقد خاطبه المهدي عندما قام بتعيينه اميراً على دارفور بجملة من النصائح منها فقد اوصاه اذا عرض عليه امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة أن يقدم على ما هو للآخرة، وأن لا يؤثر على محبة الله ورسوله ﷺ والدار الآخرة شيئاً ما خصوصاً الجهاد في سبيل الله، وأن يتواصى مع اصحابه على الصبر والمرحمة والعدل في القول والفعل والرفق بالفقراء والمساكين خاصة المسلمين لامر المهديّة، وحذره في اشارة لحياتهم السابقة زمن التركيّة من المكث على احوالهم السابقة زمن التركيّة السابقة حيث قال له (بالجملة فلا ينبغي لك بعد هذا انت واصحابك أن تمكثوا على أحوالكم السابقة، فتلك حالة بدلها الله تعالى و غيرها عنكم وقد علمتم أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى، فاتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، فعليكم بالتجرد مما بقي من علائق الدنيا وتأسوا بسيدنا محمد ﷺ وأصحابه، عليكم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة حدود الشريعة المحمدية وزنوا حالكم ومقالكم بميزان قوله تعالى (واذ قلتم فاعدلوا)⁽¹⁴⁾ وحذرهم ومن الحسد والعظمة والكبرياء قائلاً (اخلوها من قلوبكم)، وقد ختم منشوره موصياً له باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود المحمدية.⁽¹⁵⁾

كذلك اردف المهدي منشوراً آخراً لمحمد خالد زقل عامله على دارفور خاصا بتخميس غنائم الفاشر حيث طلب إضافة الأسلحة والخيول والبغال والجهادية والاسري وكل متعلقات الحرب، وجميع مايكون مماثل لهذا الخصوص لبيت المال خاصة فلا يجري فيه تقسيم أو تخميس، أما من خصوص أموال مدينة دارا وحواليها وكبكاية وما اشبه ذلك من البلدان التي فتحت صلحاً يعني دون جهاد فجميع أموالها تكون فيئاً لله والرسول ﷺ وحذر الأتباع من الإعتداء على الغنائم وامرهم بالأذكار والراتب وإعمار المسجد بالصباح والمساء بالتهليل والتكبير والصلاة على النبي النذير.⁽¹⁷⁾ وقد طرح هذا المنشور العديد من الأسئلة وفتح الباب لضرورة الإهتمام بتدوين تاريخ

حواضر دارفور قبل قيام الدولة المهديّة، خاصّة وضع مدينة كباكية وحاكمها ادم عامر الذي كاتبه الإمام المهدي وترك امر ابقائه حاكماً على المدينة وفقاً لتقديرات الامير محمد خالد زقل، وكذلك شكر المهدي في هذا المنشور الامير زقل على حسن صنيعه بمخاطبة والي مصر، وشرح له كافة المجريات العسكرية في ساحات القتال في الشمال النيلي وفي كردفان والامر والتعينات التي كلف بها بعض القادة المهديين على بعض المناطق، وإن دل ذلك إنما يدل على القيمة الكبيرة التي يضعها في عامله على دارفور. (18) وخاطب المهدي محمد خالد زقل فيما يعرف بعصيان الشيخ الطاهر التجاني بن التلب احد شيوخ الطريقة التجانية في دارفور الذي انكر على المهدي مهديته وبادر بالعصيان وقام بقتل امير الهبانية وبعض جماعته واستولي منهم على بعض العتاد والخيول والأموال، وقد طلب المهدي إرسال جيش كبير للقبض عليه وارساله للمثول امام المهدي بعد استخدام كافة الحيل لتجنب اراقة الدماء وحققها. (19)

كذلك تتواصل منشورات الإمام المهدي لأعيان وسلطين ومشايخ دارفور، حيث أورد محمد ابراهيم ابوسليم منشوراً إلى السلطان محمد يوسف سلطان البرقو، وتجنب المهدي استخدام لقب (السلطان) مبرراً بقوله (وإنا تركت اسم السلطان عنك مع عظمتك عندي ومكانتك مما جاوبتني به لأسير بك إلي ما احبه لنفسه من نسبه السلطنة لله وحده وأن تكون من عبيده المخلصين له في العبودية فأنا العظمة عند الله بذلك، إذ ندب اشرف خلقه بالعبودية فقال (سبحان الذي اسري بعبد . (20) فمن هذا حبيبي فقد اخترت لنفسه أن اكون عبداً وخادماً للأخوان ومرشداً ومرياً لهم إلي ما عند الله وإلي العبودية له وإختيار ما عنده من غير سلطنه عليهم إمتثالاً لقول الله تعالى وإقتداء بالأنبياء والمرسلين، ولما احببت حبيبي أن تنحي نحوي هذا وأن تنجو من إرادة هذه التسمية التي هي عنوان إرادة العلو في الدنيا الذي نفر الله عنه وإن ذلك اسم زائل وغرور باطل يتضح شومه عند كشف الحقائق. (21) وقد احتوي هذا الخطاب الكبير على العديد من المضامين والمطلوبات والنصح، ونستشف منها قبول السلطان محمد يوسف سلطان برقو بالدعوة المهديّة، وأنه خاطب الإمام المهدي بذلك حيث رد المهدي عليه قائلاً (بلغني جوابك المحلي بحسن خطابك والقبول بما احتواه جوابنا من النصح فجزاك الله خير الجزاء فقد قبلناك ومن معك من الأخوان والأصحاب والأهل والأتباع) وقد حث المهدي سلطان برقو بأهمية الالتحاق به وصحبته قائلاً (حيث أنكم احبابي من أولي الأبواب والعقول السليمة

وأهل لبيوت الدين القديمة، وادركتم زمننا هذا الذي هو ملحق بزمن النبي كما بشرنا بذلك ﷺ فلا يكن سعيكم وجهدكم رحمكم الله إلا بالإجماع بنا لتفوزوا بحسن الصحبة وعظيم الرفقة، فقد بشرنا ﷺ بأن اصحابنا كاصحابه وعامهم له رتبة عند الله كرتبة عبد القادر الجيلاني فأخلصوا النية أصحابي وأدركوا البقية من وجد الله لم يفقد شيئاً⁽²²⁾.

كذلك فهم من هذا الخطاب أن هناك علاقة روحية صوفية بين السلطان محمد يوسف سلطان برقو والشيخ محمد السنوسي الليبي الذي إختاره المهدي لشغل خلافة سيدنا عثمان بن عفان حيث اورد في حقه بأنه واحد من الخلفاء الأربعة، فقد طلب المهدي من السلطان أن يرسل الخطاب حال وصوله واستلامه له وأن يرسل من عنده من يوصل الخطاب إلى الشيخ محمد السنوسي وأن يترافق معه عند الهجره إلى المهدي، فقد قال المهدي (أنه واحد من الخلفاء الاربعة فأنضموا اليه وهاجروا معه إلينا إن تيسر ذلك، وإلا فأن امكنكم سبقه فأسبقوه إلينا لتأخذوا حظكم من التربية والأرشاد والفوز من ما يدوم من الخير مدي الآباد، وإياكم والتأني بعد أن عرفتم خير الهجرة وعظمتها ووعيد التخلف ووزره)⁽²³⁾.

أذن المهدي لسلطان برقو محمد يوسف في بث الدعوة للهجرة إليه قائلاً (وحيث صرت من أهل المكانة عندنا بصدق متابعتك وامثالك لأمرنا الذي فيه فوز الدارين وقرة العين، فقد اذناك في أن تدعو إلي الهجرة معك من بنواحيك من المسلمين أن يتضمنوا إليك و تكونوا عوناً على إحياء ما اندرس من سنن الأنبياء والمرسلين، فجميع من بنواحيك فليأتي إلينا مهاجراً معك بالمودة والمحبة ، وأن لا يتخلف إلا من يكون فيه إصلاح للبقية من ما تري فيه، والمعلوم أن من آثر أوطانه وأهله وأمواله على ما عند الله كان محجوباً ومطروداً من الله)⁽²⁴⁾.

وجرت مكاتبه أخرى بين المهدي وسلطان برقو محمد يوسف حيث خاطبه المهدي في منشوراً آخرأ بعد استلامه لهديه ماليه منه عبارة عن مبلغ 500 ريال، حيث اخطره المهدي باستلام الهدية المذكوره تطيباً لخطره وإن كان الأمر غير ارادته وان المقصود (بلوغ مقامكم المسعود) وقام بحثه على ترك كل ما يحول دون هجرته⁽²⁵⁾. كذلك خاطب أهالي دارفور يدعوهم للجهاد في سبيل الله مع بيان فضل الجهاد وحثاهم على الاتفاق والتعاون مع محمد خالد زقل الذي جعله نائباً عنه في دارفور وطلب منهم أن ينضموا اليه قائلاً (فاني وجهت اليكم السيد محمد خالد زقل نائباً

عني في هذا الخصوص فمجرد وصوله عندكم وتلاوة كتابي عليكم انضموا وتحزبوا معه لنصرة الدين وبايعوه على السمع والطاعة في جميع الامور ما دام يأمركم بالأمر بالمعروف وينهاكم عن المنكر لانه بتعيينه صار من أولى الأمر⁽²⁶⁾.

من المنشورات التي احتواها هذا المجلد مجموعة المكاتبات التي تم تبادلها الإمام المهدي مع غردون باشا عندما تم تعيينه حكمداراً على السودان لتنفيذ سياسة إخلاء السودان، و من ضمن الرؤي النقدية التي طالت غردون باشا وسياسته أنه اضاع الزمن في مكاتبات لا جدوي منها بينه وبين الإمام المهدي حيث حاول أن يمنحه ما حصل عليه بالقوة، وبادر غردون بارسال أولى الخطابات للمهدي مستخدماً ارقى الألفاظ الداله على الإحترام والتوقير وشارحاً له أسباب تعيينه حكمداراً على السودان وذلك لفتح الطريق امام الراغبين في زيارة قبر الرسول سيدنا محمد ﷺ وأبدأ برغبته في الإتفاق معه لإيقاف الحرب وفتح الطرق امام ابناء السبيل ودعاه لإطلاق سراح المحتجزين لديه من المسيحيين والمسلمين، وانه لامانع لديه أن يحصل على حكم كردفان اذا كان يرغب في ذلك، ودعاه لتعيين سفير من طرفه لإقرار الإتفاق وإستلام فرمان التعين، مع بعض الهدايا التي هي عبارة عن كسوة شرف⁽²⁷⁾. ورد الإمام المهدي على خطاب غردون بشكل مطول مفنداً ماجاء في رسالته ورافضاً دعوته لملك كردفان ومتهمكماً من دعوته لفتح وتأمين زيارة قبر الرسول ﷺ ورد اليه هديته ومنحه جبة انصارية، وقد قال المهدي في هذ الرد (كيف من يكون على خلاف سكة رسول الله ﷺ أن يفتح باب زيارة قبره) وقال ابوسليم أن المهدي تفادى ما يشير الى موضع الحج من دعوته، وقال المهدي (فظهر نفسك أولاً بالدخول في ملته ثم اشفق على ملته بسلوك سنته ومن غير هذا مالك في المحقين رفيق) (واعلم أنك اذا اتيتنا مسلماً نربيك، فنريك من النور ما يطمئن به قلبك، ويزول به طمعك عن الدنيا وما فيه وبعد ذلك إن رأينا فيك خيراً وصلاًحاً للمسلمين وليناك كما فعلنا مع محمد خالد زقل) واعلم أي المهدي المنتظر ولا فخر خليفة رسول الله ﷺ فلا حاجة لي بالسلطنة ولا بملك كردفان ولا غيرها ولا في مال الدنيا ولا زخرفها إنما عبد دال الي الله والى ما عنده) (وقد ايدني الله تعالى بالأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع الأولياء والصالحين لإحياء دينه، وقد بشرني النبي ﷺ بأن جميع من يلاقيني بعداوة يخذه الله ويهزمه ولوكان الثقلين الإنس والجن فلا تغتر فتهلك كما هلك اخوانك فافهم وسلم تسلم⁽²⁸⁾).

وقد قام غردون حكمدار السوادان بالرد على خطاب المهدي رداً موعلاً في العنف اللفظي حيث ابدي اسفه لمخاطبة المهدي وأنه كان يعلم رده مسبقاً وحمله مسئولية قتل الأبرياء واهراق دماء المسلمين وتوعده بأنه سوف يجد مصيراً على موقفه هذا، قائلاً له (وصلني خطابك الركيك العبارة العاري عن المعنى الدال على سوء نيتك وخبث طويتك، وعما قريب ستبلى بجيوش لا طاقة لك بها، وتكون انت المسؤول امام الله عما يسفك من الدماء كما انت المسؤول الآن عمن اعميت قلوبهم وغشيت بصائرهم ويتمت اطفالهم، وخربت ديارهم، وهانا مستعد لقدمك ومعني رجال اقطع بهم انفاسك والعاقل من تدبر.⁽²⁹⁾ والذي يجدر ذكره أن المهدي قد خاطب غردون بخطابين آخرين احدهما كان موضوعه رد كسوة الشرف والآخر حدد له شخصاً لترجمه خطابه. وكذلك احتوى هذا المجلد وفي هذا السياق رداً من الياس ام برير الذي كان قد خصهم غردون بالتحية مع النور عنقرة، وقد حوي رده وضح فيه اتباعه للدعوة المهدية على يد المهدي المنتظر بل ودعاه للتسليم والإيمان اقتداءً به قائلاً له (فخلص نفسك من احوال المخالفة، فخذها نصيحة من عقب الأمور بعين خبير وهدية من ذاق مرارة التجريب حتى اطلع على النعير والقطمير).⁽³⁰⁾ وقد حظى الأمير عثمان دقنة بمجموعة من الخطابات تجاوزت الخمس محركات من المهدي له ولبعض المكونات في شرق السودان، مثل محرر المهدي الى كافة عربان وقبائل سواكن يطلب منهم التجرد من الدنيا ودعاهم لموازرة اميرهم عثمان دقنة والإقبال على الجهاد قائلاً لهم (وأول وصول جوابي هذا اليكم اذا رمتهم أن تكونوا من الرجال الصادقين الوافين فجدوا في امر الجهاد وازروا اميرنا عثمان وشدوا عضده وضيقوا على الكفرة مسالكهم واهجموا عليهم في مسالكهم اذا وجدتم مندوحة لذلك، واعلموا ان من تخلف عن الجهاد بعد ورود امرنا هذا من غير عذر شرعي ولا اذن من اميرنا فهو ناقض للبيعة وخارج من زمرة اصحابنا)⁽³¹⁾ وقد حملت منشورات المهدي العديد من الوصايا للأمير عثمان دقنة يحثه على ترك الدنيا والإقبال على الآخرة وقد اوصاه بعدم الإعتماد على الكثرة والأسلحة وليكن جل إعتماده على الصفوة المختارين من الرجال والتوكل الكامل والتسليم لله، (فلاتخشوا الناس واخشوا الله الذي بيده كل شئ).⁽³²⁾

كذلك ارسل الإمام المهدي محرراً للأمير عثمان دقنة يلومه فيه بسبب انقطاع اخباره منذ توليته الامارة وارساله للمكونات في شرق السودان داعياً للمهدي وسطهم

ومحارباً الوجود التركي المصري في شرق السودان وقال المهدي فيه (لقد مضت مدة من حين ارسالكم ومازلنا منتظرين ورود مخابرة منكم لغاية تاريخه ومادرينا بحقيقة حالكم من جهة اهاليكم هل وافقوكم ام لا، وكذلك من جهة الترك) ولكن استطاع المهدي أن يستطلع عن حقيقة الأوضاع في الشرق من القادمين من هناك بالإضافة لعثوره على برقيات الحكام الاتراك مستنجدين الحكمдар القتييل علاء الدين عندما تم القضاء على جردة هكس، وقد وجد المهدي في تلك الأخبار ما ادخل السرور في نفسه ونفس انصاره.⁽³³⁾ وكرر الإمام المهدي طلبه مره اخري لعثمان دقنة بضرورة ابلاغه بمجريات الامور الحربية في شرق السودان وقال له (وإنما خاطبناكم بالسماع من جهتكم فقط بدون رسل منكم ولاجواب، فلازم من المبادرة في ورود الإفادات بالحاصلات من اخبار الكفرة وما انتم عليه وماجرى بينكم وبينهم) وقد وضع له كيفية التعامل بعد نجاح الجهاد والإنتصار قائلاً (فان من خصوص الناس الذين ياخذون البيعة ويتخلفون عن الجهاد عاملوهم حكم معاملة الله ورسوله ﷺ للمنافقين، وكعاملته ﷺ للمتخلفين عن الجهاد، اما الذين اخذوا البيعة وتخلفوا مع الترك مع الترك فاذا ظفرتم بالترك والمذكورين معهم فيجري عليهم ما يجري على الترك، فاذا رجعوا عن الترك وانضموا اليكم وتابوا توبة نصوحة فليكونوا معكم، واما اموالهم تؤخذ منهم كافة لبيت المال ويصيروا من ضمن المهاجرين).⁽³⁴⁾ ويعلق محمد ابراهيم ابوسليم على تجاهل عثمان دقنة للكتابة للإمام المهدي بان عثمان وكتابه اعدوا كتاب يحتوي على وصف لوقائع الشرق واصبح هذا الكتاب المصدر الرئيس الذي اعتمدوا عليه الكتاب في الكتابة عن تاريخ عثمان دقنة وقام ابوسليم بتحريرها وتحققها.⁽³⁵⁾

من الأمراء الذين كاتبهم الإمام المهدي بشكل متكرر كان محمد الطيب البصير وقد بلغت في هذا المجلد ثمان محركات، تنوعت موضوعاتها مابين النصيحة وحالة بعض القضايا للفصل بين الخصوم، فقد جاء في اول محركات المهدي للبصير قوله (ايها الحبيب قد كلفت باقامة الدين مقلداً امرأ عظيمًا نيابة عن الصحابة الذين ورد ذكرهم)⁽³⁶⁾ وكذلك التوصية برعاية ابناء الشيخ الطيب وخاصة اولاد الشيخ نور الدائم قائلاً (اوصيك واوصي اخوانك والمسلمين أن تبذلوا الجهد والطاقة في النصيحة لله بصافي السريرة مع اولاد الشيخ الطيب وخصوصاً اولاد الشيخ نور الدائم كونوا معهم كأولاد الأم والأب، اذا تلقوا المهدي بالقبول والإذعان فجزاهم الله احسن الجزاء وشكر فضلهم وقد نصحووا النصح الكامل). ونجد أن هذا المنشور كان نصحاً وارشاداً لمحمد الطيب

البصير اكثر من كونه وصيه للإحسان لأبناء الشيخ احمد الطيب ود البشير.⁽³⁷⁾ ونجد أن هذا التوقير المهدوي كان ممتداً شاملاً لاستاذة وشيخه السابق في الطريقة السمانية محمد شريف نور الدائم الذي اشتكى من إعتداء بعض عمال المهدي مثل موسي احمد البشير الخفري وفرح حقار الصبح الذين استولوا على ممتلكاته بدعوى أن الإمام المهدي قد اباح لهم تغنيمه، مما جعل محمد شريف يكتتب المهدي شاكياً سلوك عماله، ونجد أن المهدي رد مستنكراً ومطالباً برد ممتلكاته له ومبيناً مكانته قائلاً (ورد على كتابك تذكر لنا تعديات الأخوان ونهبهم لحقوقكم ومظهرين اننا ابحنها لهم بوجه الغنيمة، وانا والله ما صدر منى ذلك ولا ابحت لهم قبال نعل من اموالك ولم ابحها فيما يأتي، وأن حرمتك ثابتة في قلبي، ولقد حضرت فيك الحضرة مراراً وفيها لقد حصل العفو عنك وعن جميع املاكك كلها على وجه العموم من نقود وعيوش واطيان ومواشي وخلافها وحمدت الله على ذلك، وأن جميع مانهب منك انا ملزوم به لزوماً شرعياً، وقد كتبنا مناشير متعددة في حقكم منوه باحترامكم واکرامكم وثبوت حقكم وعدم سبكم والوقوع في عرضكم للنسبة القديمة والإمداد المستديم ومن خالفنا و تعدى عليكم فهو مخالف لله ولرسوله، وان الخليفة عبد الله موجود لجزاء المخالفين وهو سيف الله المسلول لمن خالفنا وخالف الله والرسول ﷺ).⁽³⁸⁾ وقد ورد اسم محمد الطيب البصير في الكثير من المحررات التي صدرت لآخرين مثل محرر المهدي للعبيد ود بدر يحثه على الجهاد والالتحاق بمحمد الطيب البصير ويلومه على التكاثر في امر نصره الدين قائلاً له (بلغنا عنكم عدم الإهتمام والقيام لقتال الكفرة، حيث ندبكم محمد الطيب البصير لذلك فتخلفتم عن اجابته، فاذا بلغك جواي هذا فشمرو وقو عزمك وارسل جميع اتباعك واحبابك واهلك وعشيرتك في الله وجاهر في معاداة الكفرة واقطع السكك وبارز بالعداوة ظاهراً وباطناً، ولا تبال حكم محمد الطيب البصير فانضم اليه وهاجر من محلك الذي فيه واتحد معه كيد واحدة، ولا تجاوبنا بغير ما امرناك ولا تبسط لنا الاعذار وها قد انذرتك ومن بلغة الإنذار لا حق له في الاعتذار.⁽³⁹⁾ كذلك ورد اسم محمد الطيب البصير في محرر صادر لعوض الكريم ابوسن الذي طلب منه المهدي الخروج عن طاعة الترك و كف الإعتداء على البطاحين والإنضمام لمحمد الطيب البصير قائلاً له (كونوا انتم ومحمد البصير في المعاونة على شعائر الدين).⁽⁴⁰⁾⁽⁴¹⁾ كذلك خاطب المهدي بعض اعيان الحلاوين ومنهم عبد الرحمن القرشي يفيدهم بزوال دولة الترك ويخيرهم مابين الهجرة اليه أو مقاتلتها

بجانب العبيد ودبدر الذي امر بمقاتله ترك الخرطوم قائلاً لهم (اذا بلغكم جوابي قاتلوا الترك انتم واتباعكم أو هاجروا الينا، فلما فاتتكم أول الهجرة فلا اري لكم كفارة لذلك إلا أن تقاتلوا الترك أو تهاجروا الينا بعد ذلك ،فان النبي ﷺ امرنا بقتال الترك وبشرنا في ذلك ببشريات عظيمة، فمن خدم الترك ولم يقاتلهم فقد عصى الله ورسوله وعصانا، وعليكم بتقوى الله في السر والعلانية واعلموا أن البلاء مجموع في ثلاثة هم الرزق، وخوف الخلق، والرضاء عن النفس، فلاتهموا بارزاقكم فان الله متكفل بها، ولا تخافوا من الخلق فانهم مثلكم في العجز، والخوف من غير الله ضعف في الدنيا، ولا ترضوا عن انفسكم فان النفس عدو وفي رضاها هلاك الروح، فأن جهل العبد نفسه فليسأل عنها القرآن).⁽⁴²⁾ وقد احتوت المنشورات في هذا المجلد على الكثير من المحررات الخاصة بتوقيع اصحاب المهدي وضرورة باحترامهم اسوة باصحاب رسول الله ﷺ قائلاً لهم في محرر صدر الى عملاء البحر وخاصة الامير محمد عثمان ابى قرجة (قال ﷺ احفظوني في اصحابي واصهارى واحباي، وهكذا نحن نقول في اصحابنا اذ لهم من الحرمة ما لاولئك كما انهم على اثرهم، وقد تكررت منا المنشورات في حقهم وبيان فضلهم، فذلك طريق النجاة اما الوقوع فيهم فهو هلاك دنيا واخري وبالأخص الخليفة عبد الله، ولكونكم من أهل العقول السليمة حررنا لكم هذا لتنبهوا الأخوان الذين معيتكم جميعاً وتحذروهم تحذيراً كافياً لا يسب احد منهم صاحباً لنا سوى كان حاضراً أو غائباً وحثوهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب).⁽⁴³⁾

كذلك منع الإمام المهدي في اطار المحافظة على القيمة الإجتماعية اطلاق لفظ الدراويش على انصاره، وامر بعقاب من يخالف هذا الأمر قائلاً (لابد من إعلام جميع الأخوان مع الأمراء والمقاديم أن يتركوا تسمية الأنصار بالدراويش، لان هذه التسمية لهم وهم وخروج عن الصواب، ومن سمى الأنصار دراويش بعد هذا يجري عليه حكم التعيير والقذف بل اشد لانه نسب أهل العقل والأعمال التى امر الله بها الى السفاهة، ويقرب ذلك إلى النفاق والكفر).⁽⁴⁴⁾ ونجد أن هذا الأمر قد تكرر مما ادى لتكرار اصداره بعد تضرر الشيخ محمد البدري ابوصفية، قائلاً (فمن نفذ قلبه الي ما عند الله من الخير وترك ما في الدنيا من الضير لايسمي درويشاً وانما يسمى عاقلاً، فلزم من سمى مثل هذا بالدرويش الذي هو ذاهب العقل التعزير والجلد، وقد منعا تسمية محمد البدوي ابوصفية بالدرويش وسميناه بالصديق ومن قال له الدرويش وان كان متوهماً ناسياً يجري عليه الجزاء والحكم على ما يليق ولو صيام

ثلاثة ايام، بعد هذا الإعلام بثلاثة ايام يكون تعزيره بمائة سوط على التمام).⁽⁴⁵⁾

نادى الإمام المهدي بضرورة عدم التمييز بين المواطنين فيما يخص خضوعهم لأحكام الشريعة الإسلامية قائلاً (اعلموا احباي أنه ليس في دين الله كبر ولا قرب ولا نسب ولا محنة النفس أو للأقارب إلا ما يوافق رضوان الله تعالى، واعلموا أن إقامة الحدود الإلهية لا تتعلق باحد دون احد ولا يكبر عليها قريب أو حسيب بالعز في اقامتها).⁽⁴⁶⁾ ونجد أن الإمام المهدي كثيراً ما حث على الإمتثال لأحكام الشريعة الإسلامية خاصة في حادثة الجلال محمد شريف الذي راوغ في الإعتراف باحدي الجنح، ولامه المهدي على عدم اعترافه بالذنب على الرغم من ثبوته بالشهود الأربعة واعتراف شريكته التي طلبت التطهير بالعقوبة قائلاً له فلما اصبحت بهذه المصيبة كان ينبغي لك أن تعترف وتطلب التطهير، حيث بين له الخير في الرضوخ للشرع الحنيف وبين جدوي اقامة الحدود وبين مكانة الجلال عنده وحرصه على عدم الرفافة به مع هذه المكانة الكبيرة له.⁽⁴⁷⁾ واحتوى المجلد كذلك على بعض المحررات الخاصة بتطبيق أحكام الشرع على نحو منشور امر فيه المهدي بحجاب المرأة وبمعاقبة من يخرج عن هذا الأمر وامر بنشره مع منشور الحدود.⁽⁴⁸⁾ وقد اجاب الإمام المهدي على العديد من المسائل الفقهية الواردة من نواب الأحكام قائلين له (سيدي عرضت علينا مسائل في اثناء الدعاوي من المظالم واشكل علينا الحكم فيها حينئذ فزغب التحرير منكم بما ينبغي الإجراء به).⁽⁴⁸⁾ وكان الإمام المهدي يفصل تلك الدعاوي وفقاً لأحكام الشريعة والإيمان بالمهدية، هذا بجانب عشرات المحررات الفردية التي تم اصدارها لبعض رجال الدين مثل الشيخ الضرير ولسكان المدن مثل محرراته لسكان اتبرة، واعيان مدينة الأبيض وغيرهم من الناس الذين عرض عليهم المهدي مهديته وطلبه منهم كتمان الامر، وطلب منهم في بعض المحررات الإنفاق على الجهاد.

الخاتمة:

تظل الآثار الكاملة للإمام المهدي أهم المصادر الدراسية لتاريخ المهدية في السودان، وقد بذل البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم جهداً كبيراً في جمعها وتحقيقتها وتبويبها ونشرتها جامعة الخرطوم وقدمتها للباحثين في صورة وفرت الكثير من الجهد والوقت، وتناولها الباحثين في دراسات متقدمة. وتتمثل النتائج في الآتي:

- أن الجهد الذي بذله البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم يعتبر جهداً كبيراً في تاريخ البلاد.
- ما تزال هذه الوثائق بحاجة للدراسة والبحث والتعريف بالكثير بالأعلام اللذين وردوا في ثنايا الوثائق.
- تحصلت هذه النتائج على كثير من وثائق ومحركات الأمراء والقادة المهدويين، وما تزال في حاجة للتحقيق.

الهوامش:

- (1) محمد أبراهيم ابوسليم (منشور المهدي إلي كتبة احكام المهديّة) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الأول ، ص 94
- (2) محمد ابراهيم ابوسليم (من المهدي لمحمد شريف نورالدائم) المرجع نفسه، ص 423
- (3) محمد ابراهيم ابوسليم (من المهدي إلي الحكمديّة) المرجع نفسه ص 94
- (4) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي قاطبة العلماء والتجار والعمد والفقراء والمساكين القاطنين بمدينة الابيض) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الأول ، ص 175
- (5) المرجع نفسه ص 434
- (6) (إلي علماء السوء) المرجع السابق ص 334
- (7) محمد أبراهيم ابوسليم ، الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ، ص 3,5
- (8) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي عبد الصمد شرفي 5/ محرم/1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 11
- (9) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي كافة الأمراء والمقاديم و اتباعهم 9/ محرم 1301) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 18
- (10) المصدر نفسه ص 49
- (11) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي كافة الأمراء والمقاديم و اتباعهم 9/ محرم 1301) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 39
- (12) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي أبوبكر جعفر المرغني) 13/ محرم 1301) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 33,34
- (13) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي محمد عثمان بن السيد الحسن المرغني) 23/ صفر 1301) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 59

- (14) سورة الأنعام 153
- (15) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي محمد خالد زقل جملة من الوصايا بمناسبة تعيينه اميراً على دارفور) 10 حرم 1301 الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 22
- (16) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي إلي محمد خالد زقل جملة من الوصايا بمناسبة تعيينه اميراً على دارفور) 10 حرم 1301 الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 31
- (17) محمد ابراهيم ابوسليم (من المهدي الي محمد خالد زقل ، تخميس غنيمة الفاشر) بتاريخ 3 جمادي أول 1301 هجرية ص 222
- (18) محمد ابراهيم ابوسليم (من المهدي الي محمد خالد زقل يثني عليه لمكاتبته والي مصر) بتاريخ 3 جمادي آخر 1301 هجرية ص 229
- (19) محمد أبراهيم ابوسليم (عصيان الطاهر التجاني بن التلب ، بتاريخ 12 جماد أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 259
- (20) الإسرائ (2)
- (21) محمد أبراهيم ابوسليم (إلي محمد يوسف سلطان برقو ، 19 جماد آخر 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 303
- (22) المصدر نفسه
- (23) الى سلطان برقو المصدر السابق ص 304
- (24) المصدر نفسه
- (25) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي سلطان برقو محمد يوسف ، يبلغه بوصول هديته) 19 جماد آخر 1301 هجرية (الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 309
- (26) محمد أبراهيم ابوسليم (من غردون الي المهدي) 15 ربيع آخر 1301 هجرية الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 245
- (27) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي غردون يوسف) 21 جماد أول 1301 هجرية (الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 253

- (28) محمد أبراهيم ابوسليم (من غردون الي المهدي) بدون تاريخ) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 258
- (29) محمد أبراهيم ابوسليم (من الياس ام برير الي غردون) بدون تاريخ، الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 257
- (30) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي كافة عربان وقبائل سواكن) 9 ربيع أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 80
- (31) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي عثمان دقنة) 10 ربيع أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 83
- (32) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي عثمان دقنة) 10 ربيع أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 273
- (33) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي عثمان دقنة) 20 جماد أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 277،
- (34) المصدر نفسه
- (35) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي محمد الطيب البصير، يوصيه خيراً بنفسه وبمن معه) ربيع أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 134
- (36) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي محمد الطيب البصير يوصيه خيراً ببناء الشيخ الطيب) ربيع أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 138،147
- (37) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي محمد شريف نورالدائم) السادس، جماد أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص 142
- (38) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي العبيد بدر) بعد صفر 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص(سبعة وستون)
- (39) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي محمد الطيب البصير) ربيع أول

- 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م
المجلد الثاني ص125
- (40) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي عوض الكريم احمد ابوسن واهله)
ربيع أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر
1990م المجلد الثاني ص124
- (41) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي اعيان الحلاوين، عبد الرحمن القرشي
(قبل جماد أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم
للنشر 1990م المجلد الثاني ص 317
- (42) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي عملاء البحروخاصة ابي قرحة) جماد
أول الى غرة رمضان 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة
الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص395
- (43) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي الأحباب) جماد ثاني 1301 هجرية
(الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني
ص3(ثلاثمائة و ستة عشر)
- (44) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي كافة الأحباب) 20 جماد ثاني 1301
هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد
الثاني ص310
- (45) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي احبابه، يأمر بتطبيق أحكام الشرع
على الكافة دون تفرقة أو تمييز) 18 جماد أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة
للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص270
- (46) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي الجلال محمد شريف) بعد جماد
آخر 1301 هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر
1990م المجلد الثاني ص293
- (47) محمد أبراهيم ابوسليم (من المهدي الي احبابه في الله، بأمر حجاب المرأة
ومعاقبة من يخرج عن هذا الأمر) 18 جماد أول 1301 هجرية) الآثار الكاملة
للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد الثاني ص (مائتين ستة
و ستون)
- (48) محمد أبراهيم ابوسليم (من نواب الأحكام الي المهدي) 25 ربيع أول 1301
هجرية) الآثار الكاملة للإمام المهدي ، دار جامعة الخرطوم للنشر 1990م المجلد
الثاني ص91

الفصل السادس

**جهود دار الوثائق السودانية في عملية
جمع وحفظ المخطوطات**

جهود دار الوثائق السودانية في عملية جمع وحفظ المخطوطات

قسم التاريخ - كلية العلوم الانسانية
جامعة بحري

د. عبد العزيز محمد موسى

مقدمة:

تعتبر الوثيقة في أبسط تعاريفها، السجل الذي يحمل بين دفتيه صورة الماضي بكل ما فيه من أحداث وقول وفعل ورد الفعل وتكتسب الوثيقة أهميتها على المعلومات التي تحملها وهي المصدر الأساسي للدراسات التاريخية وتأني المخطوطات التي دونت باليد في المقام الأول⁽¹⁾ إذ لها تأثير خاص وسط الباحثين باعتبار إنها تحمل معلومات هامة وقديمة وأيضاً من المخطوط ما هو مطبوع بالمطبعة أو الآلة الكاتبة ومنها أيضاً الصورة أو النسخة التي تنقل عن الأصل ونسبة لاتساع كلمة مخطوطات وشمولها لأشياء أخرى، فقد أضيفت لها كلمة تاريخية لتعطي بعضاً من التحديد إلا أن هذه الإضافة بدورها خلقت نوعاً من الخلط لأن عبارة مخطوطات تاريخية فقد تعنى الوثائق الخاصة أي وثائق الأفراد أو قد تعنى أيضاً مجموعة الوثائق التي ليس لها وحدة عضوية كالمشروعات التي تحتفظ بها دور الوثائق.⁽¹⁾

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الموضوع (جهود دار الوثائق السودانية في عملية جمع وحفظ المخطوطات في السودان) من أهمية الموضوع نفسه إذ يسعى إلى حفظ تراث وكيان أمة إسلامية من الضياع مع تضاؤل عدد الباحثين من الأمة الإسلامية في دراسة تلك المخطوطات التي تحولت للعرض فقط داخل فتريناتدار الوثائق.

أهداف الموضوع:

- إبراز دور دار الوثائق السودانية في حفظ التراث.
- إلقاء الضوء على المخطوطات المختلفة في دار الوثائق.
- دراسة تاريخية تحليلية عن المخطوطات في السودان.

أسباب اختيار الموضوع:

ما تزال المخطوطات السودانية من أكثر الوثائق التي لم تتعرض للدراسة، إلا من بعض الدراسات القليلة جداً، في فترات سابقة تعود إلى القرن الماضي ومعظمها كان متكرراً، ولذلك رأينا من خلال هذا البحث جذب انتباه الباحثين على مستوى العالم لإجراء دراسات على المخطوطات السودانية. خاصة بعد التقدم العلمي الذي شهده العالم في هذا المجال. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا البحث هل استطاعت دار الوثائق السودانية من خلال مشوارها الطويل منذ تأسيسها أن تنجح في جمع وحفظ المخطوطات السودانية بشكل علمي حديث؟ وما هي الصعوبات التي تواجه عملية الجمع والحفظ؟ ومدى تفاعل الأهالي الذين يمتلكون تلك الوثائق مع دار الوثائق السودانية؟ ما هو دور الباحثين في عملية دراسة وتحقيق ونشر تلك المخطوطات؟ ومما لا شك فيه أن دار الوثائق السودانية لعبت دوراً كبيراً في حدود إمكانياتها المادية والبشرية في جمع وحفظ الوثائق السودانية ولو بنسبة ضئيلة وما زالت كمية كبيرة من المخطوطات في أيدي الأهالي وقد تعرض معظمها للضياع بسبب عوامل طبيعة أو جهل الأهالي بقيمة تلك المخطوطات. ومن الملاحظ قلة المخطوطات التي خضعت للدراسة والتحقيق ويعود ذلك لصعوبة عملية التحقيق.

منهج البحث:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الذي يعتمد على أخذ المعلومات من مصادرها وإعادة صياغتها وتحليلها وعند الاقتضاء أورد الباحث نصوصاً من هذه الوثائق لدعم وجهة نظره أو توضيح موقف معين.

حدود الدراسة:

من الناحية الجغرافية حدود السودان السياسية ومن الناحية الزمنية القرن السادس عشر إلى القرن العشرين..

صعوبة البحث:

أول دراسة تتناول جهود دار الوثائق السودانية في حفظ وجمع المخطوطات السودانية حيث تتوفر المادة العلمية للباحث إلا أن محاولة حصرها في صفحات محدودة تشكل صعوبات للباحث إذ سيلجأ إلى الاختصار الذي قد يخل بالمضمون. ظلت دار الوثائق السودانية منذ نشأتها في عام 1949م تلعب دوراً هاماً في جمع وتنظيم وحفظ الوثائق السودانية وقد صاحب ذلك صدور عدداً من القوانين واللوائح

المنظمة للعمل، ففي عام 1949م صدرت إجراءات تنظيمية تلخصت في الآتي:

1. قسمت مجموعة الوثائق والأوراق إلى ثلاثة مجموعات يجرى حفظها طبقاً لنوعها.

2. عدم تداول الوثائق بغرض الاطلاع حتى تنتهي اللجنة من تنظيمها وتصنيفها وتستكمل إجراءات الحفظ والاطلاع وأن تودع بمكتب محفوظات السودان كل الأوراق التي يرجع تاريخها إلى 31 ديسمبر باعتبارها وثائق تاريخية.

3. إيفاد بعض العاملين لبريطانيا للإلمام بنظم الصيانة والترميم. وفي عام 1965م صدر قانون دار الوثائق المركزية، حدد بموجبه مهام واختصاصات والضوابط التنظيمية التي تحكم حركة الوثائق وكيفية الحصول على الوثائق الخاصة والحكومية وفي¹⁹⁸²م صدر قانون دار الوثائق القومية الذي بموجبه الغي قانون دار الوثائق المركزية لسنة 1965م وعدل مسمى وظيفته مديرها إلى أمين عام⁽²⁾ وأدخلت عليه بعض التعديلات في عام 2005م بهدف إتاحة الفرصة لمزيداً من السلطات والصلاحيات لإدارة دار الوثائق السودانية وكان من نتائج التطور القانوني: -

1. جمع عدد كبير من المخطوطات التي تتناول وثائق الأرض والنسب والطرق الصوفية والأعمال الأدبية والأوراق الخاصة.

2. تحويل المستندات والوثائق الحكومية من مختلف الولايات السودانية إلى دار الوثائق وإجراء العمليات الفنية لها.

3. جمع المحفوظات الأثرية التي لم تشملها المصادر الرسمية، شملت الصحف والمجلات السودانية وبعض الكتب النادرة

وأوضحت لائحة دار الوثائق السودانية الشروط التي بموجبها يمنح الأمين العام الباحث حق الاطلاع على الوثائق والمخطوطات وتشمل في الآتي: -

1. أن يكون الشخص حائزاً على درجة جامعية أو إجازة من معهد معترف به.

2. سبق أن نشر له بحث جاد أو يقوم بالأعداد لنشر بحث جاد.

3. موصى له بالاطلاع على الوثائق (من شخص متخصص في موضوع البحث، خطاب من الجامعة أو المعهد الذي ينتمي إليه، شخص مشهود له بمكانته العلمية، رئيس الوحدة الحكومية في حالة الموظفين لعمل رسمي).

وحدد زمن لفتح الوثائق أمام الباحثين للاطلاع عليها، وذلك بعد مضي ثلاثين

عاماً على نشأتها، ويجوز للأمين العام لدار الوثائق أن يتجاوز هذا الحد. بزيادة الفترة أو تخفيضها، كما لا بُدَّ للأمين العام أن يتقيد بالشروط التي يضعها أصحاب المخطوطات الخاصة للاطلاع عليها.⁽³⁾ وهذا الشرط الأخير أضر بعملية الاطلاع على الوثائق الخاصة إذ أن معظمها عبارة عن مخطوطات، تحتاج إلى جهد للباحثين لتحقيقها ونشرها ولكن صعوبة الاتصال بورثه أصحابها وتغنت البعض منهم بمنع الباحثين من إجراء الدراسات عليها، فتظل هذه المخطوطات علماً غير منتفع به، بالرغم من المعلومات التي تحملها، قد تكون في غاية الأهمية. وبمنظرة عامة للمجموعات الوثائقية الموجودة في دار الوثائق السودانية ومن خلال إطلاع الباحث على القوائم يمكن أن نوجزها في الآتي: (الأمن، الداخلية، دار الوثائق المركزية، الرقابة، السكرتير الإداري، سفارة السودان بلندن، وكالة السودان بالقاهرة، شؤون المستخدمين، الماسونية، المالية، الاستوائية، أعالي النيل، البحر الأحمر، بحر الغزال، بورتسودان، حلفاء الخرطوم، دارفور، الشمالية، كردفان، كسلا، منقلا، النيل الأزرق، الأحزاب السودانية، البرلمان الجمعية التأسيسية، الجمعية التشريعية، القصر، المجلس الاستشاري، المجلس التنفيذي، مجلس الحاكم العام، المجلس المركزي، المخابرات السودانية، المخابرات المصرية، المهديّة، دائرة شؤون الأنصار، حزب الأمة، دائرة المهدي، الشئون الدينية، الإدارة الأهلية، لجنة الانتخابات، لجنة السودان، اللجنة القومية للدستور، الجنوب ومؤتمر المائدة المستديرة، تقارير المديرية والمجالس، التقارير المصلحية، الخرائط، الصحف، المخطوطات..... إلخ) وتشكل كل قائمة من هذه القوائم مجموعة وثائقية قائمة بذاتها تتناول وثائق حقبة تاريخية من الحقب السياسية في السودان. وللإيضاح أكثر يمكن أن نعطي محتويات ثلاثة مجموعات وثائقية.

أولاً: مجموعة الانتخابات:

وهي تتناول الانتخابات السودانية التي أجريت منذ عام 1954م في جميع مراحلها وهي موجودة في شكل ملفات ومطبوعات وتغطي هذه الوثائق جميع الأحداث التي صاحبت الانتخابات السودانية.

ثانياً: مجموعة الجنوب ومؤتمر المائدة المستديرة:

وتعرف هذه المجموعة الوثائقية أيضاً بـ South وهي موجودة في 78 صندوق وتضم 444 وثيقة تتناول جنوب السودان قبل انفصاله عن الدولة الأم السودان وتغطي هذه الوثائق الفترة من العام 1922م إلى 1969م وهي مطبوعة بالآلة الكاتبة اليدوية والتي كانت وسيلة الفترة التي كتبت فيه.

ثالثاً: مجموعة داخلية:

تتناول نشاط وزارة الداخلية خلال الحقب المختلفة وهي ترصد الأحداث المتعلقة بالجانب الأمني.

لا بُد من الإشارة بأن الباحثين السودانيين خاصة الرواد منهم يستخدمون عبارة (وثيقة) في دراستهم للمخطوطات وقد أشار الدكتور عبدالرحمن عبد الله الشيخ بأن بعض الباحثين يخلطون بين الوثائق والمخطوطات وحقيقة الأمر أن المخطوطات كتب عادية، كالكتب المطبوعة التي بين أيدينا. ولكن مؤلفيها لم يدركوا عصر المطبعة فدفعوا بها إلى النساخ. ولذلك لا بُد أن يقوم المخطوط أو ينقد على نحو ما ينقد الكتاب ولا بد من تحليل محتوى المخطوط على نحو ما تحلل محتوى الكتاب والمادة في المخطوط مثلها في الكتاب المطبوع، مادة إرادية أرد لها مؤلفيها أن تكون شاهداً على التاريخ. كل ما في الأمر أن المخطوط لم ينتشر على نطاق واسع ولم تتداوله أيدي كثيرة فرمها حوي حقائق ومعلومات جديدة⁽⁴⁾.

'لوثيقة في اللغة العربية تعبير شامل لأشياء متباينة، في حين إننا نجد في اللغات الأوروبية مصطلحات دقيقة لهذه المعاني Document.Archives وقد استخدم الباحثين الأجانب كلمة Documents للمخطوطات السودانية التي قاموا بتحقيقها وسيأتي ذكرها في هذا البحث لاحقاً⁽⁵⁾.

ويعود تاريخ المخطوطات العربية خاصة الرسمية في السودان إلى قيام سلطنة الفونج « عام 1504م » وقيام سلطنة الفور « 1650م » إلى الغرب منها إذ أصبحت الوثيقة العربية بفضل هاتين السلطتين الإسلاميتين أداة من أدوات الحكم والإدارة⁽⁶⁾. ويعتبر مولد سلطنتي الفونج والفور دليلاً على غلبة الثقافة الإسلامية في السودان وادي النيل فتدفق العلماء ورجال الطرق الصوفية من مصر والحجاز والمغرب، مساهمين في تعميق مفاهيم العقيدة الإسلامية بطريقة أشمل وقد وجد المتصوفة قبولاً عند عامة السودانين ومن ثم غلبت روح التصوف على الثقافة الإسلامية في السودان وادي النيل⁽⁷⁾ وأشار توماس ارنولد إلى انتشار الثقافة العربية الإسلامية في دارفور نتيجة لهجرة العرب من تونس إلى الجنوب واخترقوا بورنو Bonu. وداي Wadai. حتى وصلوا إلى دارفور وجاء غيرهم من الشرق فيما بعد وقد لقي أحد المهاجرين العرب ويدعى احمد استقبالا من ملك دارفور الوثني الذي تعلق به فجعله مشرفاً على شئون بيته واستشاره في كل المناسبات وكانت خبرته بأساليب الحكم أرقى تحضراً من تلك التي كانت موجودة في

دارفور مكتته ما أن يدخل عدة إصلاحات على كل شئون بيت الملك الاقتصادي وعلى حكومة الدولة وقسم الأراضي بين الفقراء والسكان، وتزوج المهاجر العربي أحمد من ابنه الملك وعينه خليفة له، وقد أيد هذا الاختيار الشعب الدارفوري، مما أدى إلى انتشار الثقافة العربية الإسلامية التي شملت دارفور كلها في عهد السلطان سليمان سولونج. الذي بدأ حكمه عام 1956م.⁽⁸⁾

هذه العوامل أنفه الذكر هي التي مهدت لظهور المخطوطات العربية والإسلامية في السودان، وقد عملت دار الوثائق السودانية من خلال إدارة البحوث والمخطوطات التي نشأة بموجب قانون دار الوثائق القومية الذي صدر عام 1982م على جلب تلك المخطوطات من مصادرها المختلفة، خاصة تلك التي بين الأهالي. وتختص إدارة البحوث والمخطوطات إلى جانب جمع المخطوطات وفهرستها وإعداد الدراسات المصدرية التي تسهم في إرساء دعائم البحث العلمي، تقوم بالإشراف على المكتبة، التي تمتلكها دار الوثائق السودانية، وتحتوي على ذخيرة ضخمة من أمهات الكتب، والمؤلفات العربية والانجليزية، بالإضافة إلى تقديم .

المساعدات للباحثين وتلبية طلبات الدولة من المعلومات والبيانات وتحقيق ونشر المقتنيات الوثائقية ذات القيمة المصدرية. وقد استطاعت دار الوثائق السودانية جذب عدداً من الباحثين والعلماء السودانيين والأجانب للتنقيب في المخطوطات وتحقيقها ونشرها، وكان لهم الفضل في اكتشاف الكثير من المخطوطات، أمثال الأستاذ اركل .والذي اكتشف مخطوطات فترة الفونج وقد نشر بعضها هولت. وكان لا وفاهي الفضل في اكتشاف المخطوطات الديوانية الخاصة بسلطنتيالفونج والفور.⁽⁹⁾ وأيضاً حصلت دار الوثائق السودانية عن طريق التصوير على مجموعة من المخطوطات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مجموعة الفيوضات الوهابية، تصنيف عوض الكريم المسلمي، وهي مجموعة رسائل المهدي، بالإضافة لكتب منشورات المهدي، والإنذارات والأحكام، وقد صورت من جامعة درم بريطانيا، كما صورت بواسطة الميكروفيلم كتب (النفحات الكبرى) للشيخ أحمد بن إدريس، والأوراد الأحمدية والأسرار السرمدية للشيخ الكامل، كما صورت مئة وخمسون مخطوطه من مخطوطات منطقة ما يرنو في سنار على النيل الأزرق بوسط السودان. وتتناول هذه المجموعة العديد من الموضوعات، علم الفلك والتنجيم بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المصاحف المخطوطة، وقد فقدت معظم هذه المخطوطات نتيجة لسوء التخزين، واللغة التي كتبت بها مخطوطات

أما بالنسبة لتصنيف المستخدم في حفظ المخطوطات بدار الوثائق السودانية هو نفس النهج المستخدم في بقية المجموعات الوثائقية.

ولسهولة الوصول إلى المعلومات التي يحتاجها الباحث في المخطوطات، تقدم له دار الوثائق السودانية قائمة بأسماء المخطوطات الموجودة وفقاً للنموذج الآتي: -

[illegible]

1. الحالة المادية للمخطوطات (جيدة لا تحتاج إلى صيانة - متوسطة تحتاج للصيانة - رديئة تلزم الصيانة - رديئة غير قابلة للصيانة).
2. السرية (غير سرية - سرية - سرية للغاية - محظور).
3. التقسيم العام (تاريخية - إدارية غير مكررة - إدارية مكررة).

ويتم ملء الاورنيك رقم (12) أنظر الملحق رقم (5) لاستخراج المخطوطات من المستودعات وتقديمها للباحث للاطلاع عليها.(12).

87

فكرة، ولو أولية، إذ يشتمل الفهرس على نحو 160 مخطوطة، توزعت على مختلف فنون وعلوم العربية، ومعظمها ألف أو نسخ في القرن الخامس عشر الميلادي⁽¹³⁾. وقد نشط الباحثين خلال القرن الماضي في عملية تحقيق المخطوطات التي وصلت إليهم وكان من نتائج ذلك إن ظهور عدداً من الكتب التي تناولت الحياة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في السودان عقب انتشار الثقافة الإسلامية والعربية.

ومن المخطوطات التي تم تحقيقها على يد مكي شبيكة. مخطوطة (تاريخ ملوك السودان) اشترك في تأليفه أربعة من المؤرخين السودانيين وهم الشيخ أحمد كاتب الشونة). والأمين الضرير. والزبير ودضوه. وإبراهيم عبد الدافع.

تناولت هذه المخطوطة، تاريخ النوبة ومن ملكها مبتدأ بملوك الفونج وما حصل في مدنهم إلى زمني هذا ومن تولى بعدهم من التركوكيف كان انسلاخ ملكهم⁽¹⁴⁾. وأيضاً من المخطوطات السودانية التي تم تحقيقها ونشرها (مخطوط كاتب الشونة في تاريخ السلطة السنارية والإدارية المصرية، قام بتحقيقها، الشاطر بصيلي عبد الجليل). الذي أشار بأن هذا الكتاب ظل مدفون وهو محفوظ في ظلمات المحفوظات، مدة طويلة، وتوجد منه نسخة في تركيا، ومن النسخة الثانية توجد نسخة فوتوغرافية محفوظة بمعهد المحفوظات بجامعة الدول العربية بالقاهرة وهناك نسخ أخرى تتركز أساساً على مخطوطة كتاب الشونة وأدخلت عليها تعديلات، إضافة وحذف، منها نسخة مخطوطة باليد في المكتبة الأهلية بباريس ونسخة في المتحف البريطاني. وهناك نسخة في مكتبة فينا الأهلية وهي صورة من مخطوطة كتاب الشونة مع بعض تعديلات قليلة وتنتهي هذه المخطوطة بنهاية السلطنة السنارية وقد قام الدكتور أجناس بلخر Knob lecher المبعوث البابوي في السودان، في حوالي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بكتابة هذه المخطوطة بواسطة فقيه الخرطوم، وتعتبر النسخة الموجودة في القاهرة من مخطوطه (تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية) أقدم مخطوطة نقلت عن الأصل المنسوب إلى كاتب الشونة، وقد كتبت بلغة عامية، ودارجة، أما النسخ الأخرى فقد كتبت باللغة العربية أقرب إلى الفصحى.⁽¹⁵⁾ وأيضاً من المخطوطات التي تم تحقيقها سلسلة من الوثائق أو المخطوطات الخاصة بالفونج والفور وهي وثائق تمليك خاصة بالأراضي قام بتحقيقها ونشرها محمد إبراهيم أبو سليم. وقد أشار في كتابه (الفونج والأرض) كيفية وصول هذه المخطوطات إلى دار

الوثائق المركزية في عام 1963م وهي مجموعة من سندات الأرض التي يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من عصر سلطنة سنار، وهي تعطى نماذج لمحررات كتاب دواوين سنار وصورة واضحة لنظم الكتابة عندهم والعوامل التي كانت تؤثر فيها، وتبين حدود الملكيات الخاصة وكيف كان السلاطين والشيوخ يتصرفون في الأرض ويقطعونها لرجال الدولة والدين، وكيف كانت ملكية الأرض تنتقل من شخص إلى آخر. وهناك معلومات وبيانات تعتبر جانبية بالنسبة للإقطاع ولكنها ذات فوائد جمة للمؤرخ، ومن ذلك أسماء الشهود الذين يشهدون على واقعة الإقطاع إذ أن هؤلاء يكونون رجال البلاط وعليه القوم وحكام المقاطعات المختلفة.

وقد وردت في كتاب (الفونج والأرض) حوالي اثنين وثلاثين وثيقة (مخطوطة).⁽¹⁶⁾ وأيضاً أصدر أبو سليم كتاباً حمل عنوان (الختم الديواني في السودان) إذ أن الختم ارتبط بالمخطوطات، وقد اتخذ سلاطين سنار ووزرائهم اختاماً رسمية وكانوا يصنعون اختامهم في صدر المحرر لتصفي على المحرر الصفة الرسمية. ومن الوثائق والمخطوطات التي قام بتحقيقها أبو سليم ونشرت نجد (الآثار الكاملة للإمام المهدي)⁽⁴²⁾ صدرت في أربعة مجلدات تتناول خطابات ومنشورات المهدي الخاصة والعامة والخطب والمحاضرات والراتب والمجالس.

وكانت الرسالة التي حصل بها أبو سليم، علي درجة الدكتوراه هي عبارة من مخطوطه قام بتحقيقها وقد اعتبرها ب.م هولت. صرحاً شامخاً في البحث العلمي. وأيضاً من المخطوطات التي حظيت بالنشر، الكتاب الذي أصدره الدكتور أبو سليم واسبولدنق jagSpaulding باللغتين العربية والإنجليزية، حمل عنوان (وثائق من سلطنه سنار في القرن الثامن عشر).

Some Documents From Eighteenth – Century Sinar

واحتوى الكتاب على أربعة وأربعون مخطوطاً.

ومن المخطوطات التي أثارت كثيراً من الجدل كتاب (الطبقات) للمؤرخ الصوفي محمد ود ضيف الله. وذلك لما احتواه المخطوط من معلومات وأحاديث وأنساب، البعض يرى في الكتاب عدم الدقة في تحرى الحقائق وخاصة ما تعلق منها، بسير رجال الطرق الصوفية وأنسابهم ومجريات الأحداث في حياتهم، وعزا ذلك إلى أن المؤرخ ود ضيف الله كان يستقى معلوماته ويجمع مادته، مما تواتر وشاع من أحاديث العامة،

استقى معلوماته من أقطاب الصوفية مما لا علم لهم بأصول الروايات التاريخية، كما أنه لم يزن ما بلغه من معلومات وتراجم وأحداث. بميزان العقل والمنطق وتقبل الروايات على علاقتها. بغير نظر ولا تمحيص ومن ثم كثرت أخطاؤه وجانبه التوفيق في كثيراً مما اشتمل عليه كتاب الطبقات⁽¹⁷⁾.

ويرى البعض أهمية هذا الكتاب من عدة نواح إذ يعتبر من أهم مصادر تاريخ عصر سلطنه سنار وهو أهم مصدر لحركة التصوف في السودان ليس في عصر الفونج فحسب، بل ربما قبله وبعده، فهو يذكر الأولياء وما يتصل بهم من الحوادث والأخبار ويوضح لنا جوانب كثيرة في التصوف، وعن حياة المتصوفة ونظمهم، وهو كذلك بالنسبة لحركة العلم، إذ يذكر مدارس العلم ومنشئها، ومن درسوا فيها ومن تتلمذوا على كل شيخ في كل مدرسة، وقد كتب الطبقات بأسلوب ذلك العصر، الأسلوب الوسط بين الفصحى والعامية.

توجد عدداً من النسخ المتعددة لمخطوط كتاب الطبقات وقد حقق ونشر مرتين، ففي المرة الأولى نشره صديق إبراهيم منديل وقام بنشر المخطوطة كما هي دون أن يعلق عليها إلا على الهوامش، أما المرة الثانية التي حققت فيها المخطوطة فكان على يد يوسف فضل حسن⁽¹⁸⁾. وقد اجتهد في إعدادها بالرجوع إلى النسخ العديدة. وأيضاً هناك العديد من المخطوطات التي تتناول الأنساب. وتوجد نسخ منها في دار الوثائق السودانية، البعض منها لم تصل إليها أقلام الباحثين نذكر منها مخطوط (واضح البيانات في ملوك العرب بالسودان) وملوك العبدلاب من النسيج عجيب إلى تاريخه.

الخاتمة:

يعتبر السودان من الدول التي تمتلك ثروة كبيرة من المخطوطات التاريخية، خاصة الإسلامية وعلوم التفسير والفقه وعلم الأحاديث وغيرها من العلوم التي برع فيها العلماء السودانيون الذين ظهروا في فترة السلطنات الإسلامية خلال القرن السادس عشر، بعد تحول السودان إلى الثقافة العربية الإسلامية نتيجة للهجرات التي شهدتها السودان واستقرار القبائل العربية فيه ومماذجهم مع القبائل المحلية. وبالرغم من جهود دار الوثائق السودانية للحفاظ على تلك الذخيرة الضخمة من الوثائق، إلا أن هناك بعض الأسباب التي تقف حائلاً دون تحقيق الطموحات، بعض الأسباب تعود إلى أصحاب تلك المخطوطات، إذ يحتفظون بها في منازلهم، ولا يتم إيداع ولو لصورة منها بدار الوثائق القومية، كلاً منهم له أسبابه، وإن اتفقوا في خوفهم من ضياع تلك

المخطوطات، ويعود ذلك لجهلهم بالدور والقوانين التي تنظم العمل بدار الوثائق. وقد اجتهدت دار الوثائق السودانية في فترات سابقة وعبر اتيامها الميدانية إزالة هذا الفهم إلا أن قلة الكادر البشري والمادي حجم أعمال التوعية، وكما رأينا في هذا البحث ونتيجة لسوء تخزين المخطوطات في بيئة غير ملائمة وأجواء حارة تلفت تلك المخطوطات، ومثال لذلك وثائق ما يرنو في وسط السودان. وأيضاً من الملاحظ عزوف الباحثين في إجراء دراسة وتحقيق المخطوطات ويعود ذلك في المقام الأول لصعوبة عملية التحقيق من الناحية الأكاديمية وقلة اهتمام السودانيين بالكتب المحققة، ونظرة عامة للمخطوطات التي تم تحقيقها في السودان مقارنة مع المخطوطات المتوفرة قليلة جداً وربما لا تتجاوز 1% وتعود إلى القرن الماضي، قام بها رواد كتابة التاريخ في السودان أمثال البروفيسور/ مكي شبكية والبروفيسور/ يوسف فضل والبروفيسور/ محمد إبراهيم أبو سليم بالإضافة إلى بعض الباحثين غير السودانيين وفي مقدمتهم المصري الشاطر بصيلي عبد الجليل وكتابات اركل واسبولدنق.

تشجيعاً للباحثين لإجراء دراسات والتعريف بالمخطوطات الموجودة في دار الوثائق السودانية، نشر كتاب (المخطوطات العربية في دار الوثائق القومية السودانية فهرسه منتقى) إلا أنه من الملاحظ إن توزيع هذا الكتاب ظل في نطاق ضيق جداً، يكاد لا يوجد أثر له في المكتبات السودانية، وقد أفادني الدكتور/ على صالح كرار، الأمين السابق لدار الوثائق السودانية، بأن دار الوثائق السودانية لا تملك نسخة من هذا الكتاب.

حقيقة ان جمع وحفظ وتحقيق المخطوطات في السودان، يحتاج إلى عمل ضخم تتضافر فيه الجهود الرسمية والشعبية ومشاركة المنظمات والمؤسسة الإقليمية والدولية ذات الصلة بالموضوع بالإضافة إلى تشجيع الجامعات السودانية طلاب الدراسات العليا، للمضي قدماً في مجال تحقيق المخطوطات. وتتفق مع الدكتور على صالح كرار، فيما أشار إليه من توصيات في ورقته الموسومة (واقع المخطوطات العربية في السودان، مشكلات لحفظ والفهرسة، الإتاحة والنشر) حيث أشار بضرورة إعداد خريطة للمخطوطات في السودان عبر القيام بمسح شامل لاهم المراكز والبيوتات والأفراد التي تقتني مخطوطات وإقامة دورات تدريبية في مجالات تحقيق المخطوطات وفهرستها وصيانتها وترميمها، بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، توفير الميزانيات اللازمة التي تعين المؤسسات المعنية بحفظ المخطوطات، وتزويدها بالوسائل الحديثة التي تعين على المسح والحصر والاقتناء والتصوير والفهرسة والحفظ والنشر.

الهوامش :

- (1) تقارير مصلحة 17/2/53، علم الوثائق، دار الوثائق القومية.
- (2) متنوعات 5/1/1، قانون دار الوثائق القومية 1982م، دار الوثائق القومية.
- (3) متنوعات 2/1/1 تقارير عن تنظيم دار الوثائق، دار الوثائق القومية .
- (4) متنوعات 17/2/1، الوثائق مجلة سنوية، دار الوثائق المركزية
- (5) متنوعات 16/2/1 كتيب تعريف لدار الوثائق المركزية.
- (6) أبو سليم محمد إبراهيم، 2013، الفونج والارض وثائق تملك، الطبعة الثانية، اصدرات مركز ابو سليم، ص5
- (7) ابوسليم محمد ابراهيم، 1975، الفور والارض ووثائق تملك، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، جامعة الخرطوم، ص17
- (8) ابوسليم محمد ابراهيم، 1983، الختم الديواني في السودان، المجلس الاعلي للشئون الدينية والاوقاف، ص39
- (9) ابو سليم محمد ابراهيم، 2013، الفونج والارض، المرجع السابق 8
- (10) اخلاصمكاوي واخرين، 2001، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ص4
- (11) دار الوثائق 2/1/1، المرجع السابق
- (12) المرجع نفسه
- (13) اخلاصمكاوي واخرين، المرجع السابق، ص2
- (14) ابو علي احمد بن الحاج، تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل، 2002م
- (15) تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية، الدار السودانية للكتب، ص5
- (16) اسبولندق جاي و محمد ابراهيم ابو سليم، 1992، وثائق من سلطنة سنار في القرن الثامن عشر، دارجامعة الخرطوم للنشر.
- (17) ود ضيف الله محمد النور، تحقيق يوسف فضل حسن، 1985، كتاب الطبقات في خصوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، الطبعة الثالثة، دار التاليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم.
- (18) كاتب الشونة احمد واخرين، تحقيق مكي شيكة، 2005م، تاريخ ملوك السودان، الدار السودانية للكتب

الفصل السابع

جهود دار الوثائق السودانية في عملية
جمع وحفظ المخطوطات

بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم إدارياً

دار الوثائق القومية
الخرطوم - السودان

أ. محمد يوسف محمد حسين

مقدمة:

يقول ابن خلدون «إن التاريخ في ظاهره لا يزيد عن الإخبار وباطنه نظراً وتحقيقاً» ويقول أيضاً: «إعلم أن التاريخ فن غزير المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء».

فمن خلال دراسة التاريخ يمكن إكتساب كثير من المهارات مثل التفكير النقدي والبحث وتقييم المعلومات وما إلى ذلك، والتي تساعد كثيراً في تجويد العمل وتطوير المهارات، وكما يقول المفكر جورج سانتيانا (Jorge Santayana) «أولئك الذين لا يستطيعون تذكر الماضي محكوم عليهم بتكراره»⁽¹⁾ ودراستنا لسيرة بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم تجعلنا نقف على ما كان عليه كمؤرخ وعالم وباحث وإداري للإستفادة من علمه وخبرته، ودراسته هو للتاريخ جعلت منه كل ذلك.

لعل الكتابة عن هرم من أهرامات المؤرخين في السودان، بل الوطن العربي ككل مثل البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم من أصعب الأمور خاصة أنه يتميز بصفات كثيرة وإغفال أي جانب منها يعد تقصيراً ما بعده تقصير وخاصة إذا كان الكاتب ليس من رصفائه بل من تلاميذه في مجال العمل.

مولده وتعليمه:

ولد بروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم في قرية سرجمتو في الولاية الشمالية في السودان سنة 1927م، ودرس المرحلة الأولية بمدينة عبري والمتوسطة بوادي حلفا والثانوية بوادي سيدنا، ثم إلتحق بجامعة الخرطوم وتخرج فيها سنة 1955م. إلتحق

فور تخرجه بمكتب صغير مختص بحفظ الوثائق في وزارة الداخلية وما لبث أن تطور عليه يديه وأصبح فيما بعد دار الوثائق القومية والتي ما زالت صرحاً شامخاً حتى يومنا هذا. نال درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ من جامعة الخرطوم سنة 1966م.

عمله في دار الوثائق:

تعد دار الوثائق القومية من أعرق وأثرى دور الوثائق والأرشفات والمراكز المتخصصة في حفظ التراث الفكري والإنساني على مستوى العالمين العربي والأفريقي. وتعود بداية العناية والإهتمام بحفظ الوثائق الرسمية في السودان إلى سنة 1916م إبان عهد الإدارة البريطانية، حينما فكر السكرتير القضائي في إنشاء جهاز مركزي يعنى بتنظيم وحفظ المكاتبات المالية.

في العام 1921م كونت الإدارة البريطانية لجنة سميت آنذاك بلجنة محفوظات السودان برئاسة السكرتير القضائي وإقتصر إهتمام هذه اللجنة على المستندات والوثائق الرسمية المالية. تلى ذلك تكوين لجنة مكتب محفوظات سنة 1946م والتي أعدت الإجراءات التنظيمية المهمة وكان من بينها تأسيس مكتب محفوظات السودان هو نواة دار الوثائق الحالية لتودع فيه كل الأوراق التي أُنتجت قبل ديسمبر 1937م باعتبارها وثائق تاريخية.

في سنة 1953م اقترح المستر بيتر مالكوم هولت (Peter Malcolm Holt) ⁽¹⁾ الذي أُنتدب من كلية غردون الجامعية لإدارة مكتب محفوظات السودان، فصل المكتب عن وزارة الداخلية وإنشاء وظيفة مساعد أمين المحفوظات يشغلها سوداني من حملة الدرجات العلمية الجامعية وقد تم تعيين الأستاذ محمد إبراهيم ابو سليم في هذه الوظيفة في سنة 1955م وتولى منصب أمين الحفوظات بعد استقالة المستر هولت في إطار سودنة الوظائف بعد استقلال السودان. ⁽²⁾

جاء الإستقلال بتبعاته الفكرية لتبرز أهمية الوثائق في دراسة أصول المشاكل السياسية والإجتماعية والإقتصادية، كما اتسع الإهتمام بالدراسات العليا السودانية كماً ونوعاً بترقي كلية غردون الجامعية إلى جامعة الخرطوم، وقد ساهم هذان التطوران في ترقية مكتب محفوظات السودان ترقية مطردة. ويقع في هذا الخصوص الجهود التي قام بها بروفيسور محمد إبراهيم ابو سليم والتي اتجهت إلى إبراز شخصية مكتب محفوظات السودان القانونية في الحياة الوثائقية والفكرية السودانية بعد أن

أرست الممارسة العملية في مكتب محفوظات السودان زيادة الوعي الوثائقي والإهتمام به وتعدد مصادره مما استوجب توسيع مهام وإختصاصات المكتب بإصدار قانون دار الوثائق المركزية لسنة 1965م والذي تم تعديله سنة 1982م لتصبح دار الوثائق القومية. واتصلت بهذه النقلة في الوضع المعنوي والقانوني لدار الوثائق إنجازات كبيرة، إذ وُفقت الدار في تحويل الأوراق الحكومية من مناطق السودان المختلفة إلى مستودعاتها، ووُفقت أيضاً في جمع المحفوظات الأثرية التي لم تشملها المصادر الرسمية فاصبح للدار مجموعات كاملة من الصحف السودانية والمجلات. وكذلك وُفقت الدار في إجتذاب المودعين وانتهت إلى تكوين مجموعة معتبرة من وثائق الأرض والنسب والطرق الصوفية والأعمال الأدبية والأوراق الخاصة، وهو إنجاز تضافرت على تحقيقه السمعة المعنوية الطيبة التي حققها لها البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم بفضل حنكته الإدارية وحرص جماعة مرموقة من رجال العمل العام والباحثين والأدباء. وقد ترافق ذلك كله مع توسع كبير في الدار وإهتمام دقيق بتدريب كادرها محلياً وخارجياً. وامتدت رعاية الدار للوثائق في نظامها حيث نظمت الكورسات التدريبية للوثائقيين من الجامعات والمصالح الحكومية المختلفة. ونتيجة لذلك شهدت الفترة من صدور قانون سنة 1982م وما بعدها العديد من التطورات والمتغيرات في المفاهيم الخاصة بمجال العمل الوثائقي والمعلومات وتنامي الوعي بأهمية التوثيق والوثائق والمعلومات وإهتمام الدولة في أعلى مستوياتها بأهمية تطوير وتحديث العمل الوثائقي في البلاد عامة وفي دار الوثائق القومية بصفة خاصة.

كان البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم متوازناً في إدارته لدار الوثائق كمؤسسة حكومية قومية تهتم بالمعلومات والتراث السوداني وبين المجتمع السوداني في إطاره الواسع وبتشكيلته القبلية والثقافية المختلفة الأساليب، وقد خلق من أجل ذلك صلات واسعة وحميمية مع البيوتات الدينية والزعامات القبلية والشخصيات التاريخية والسياسية المهمة بالبلاد، ورغم ذلك آمن ابو سليم بقومية المرفق وشموليته وحياديته، والتزم هذه الحيادية منهجاً واسلوباً ولم يتحيز لمنطقة دون أخرى أو ينجذب لفئة بعينها.⁽³⁾ وقد قال عنه في هذا الصدد زميله أوفاهي (R S O'Fahy) واندريس جوركيلو (Anders Bjokel) في مقال عن كتابات ابو سليم نُشر في مجلة (Sudanic Africa) العدد 1 1990م «أن ابو سليم قام بترجمة دوره كمدير للأرشيف السوداني بشكل

متحرر في دعمه للباحثين السودانيين والباحثين الأجانب بشكل متساوي» دلالة على حياديته في تعامله مع الكافة.

في مطلع عام 1995م تقاعد البوفيسور محمد ابراهيم ابو سليم بعد أن أكمل الفترة القصوى في خدمة الدولة وهو من القلة في جيله الذين أكملوا سني الخدمة لأن أغلبهم تخلوا عنها لفرص عمل أحسن وذلك لإيمانه بما كان يقوم به من دور وحبه للعمل في الطريق الذي إخطه لنفسه وصنع فيه أمجاد له ولأمته.

مشاركاته الداخلية:

عمله في دار الوثائق القومية والمؤسسات العلمية وطوافه ربوع السودان ساعياً لجمع الوثائق لرسمية من دواوين الدولة ومتبعاً للوثائق الخاصة في مظانها المختلفة وترأسه لبعض اللجان مكنه من الوقوف عن كثب على حصيلة ضخمة من المعارف والمعلومات عن أقاليم السودان المختلفة استقاها من لقاءه بالمسؤولين واجتماعاته بقيادات وزعماء ورؤساء تلك المناطق من النظار والمشائخ والعمد والأعيان والإداريين ودعم ذلك بأن قرأ كثير عن الإدارة الأهلية فأصبح حجة ومرجعاً لكل من يبتغي المشورة وينشد المعلومة الصحيحة الموثقة.⁽¹⁾ كل ذلك أكسبه خبرة إدارية واسعة أهله أن يكون مشاركاً في كثير من اللجان وأدارات ومجالس المؤسسات التعليمية والمجالس المتخصصة والجمعيات المهنية، فقد كان، بالإضافة إلى أنه أمين عام دار الوثائق القومية التي أتشأها، عضواً في المجلس القومي لإدارتها وكذلك عضو للجنة مبانيتها التي تكونت سنة 1995م، وعضواً بمجلس الهيئة القومية للآثار والمتاحف، وعضو في لجنة متحف السكة حديد القومية، ورئيس اللجنة القومية لإعادة النظر في تقسيم المديرية الشمالية سنة 1974م، وعضو اللجنة القومية لإعادة النظر في مناهج التربية الوطنية، وعضو اللجنة العليا للإصلاح الإداري ولجنة الإدارة الأهلية، وعضو اللجنة الثلاثية للنظر في الحكم الشعبي المحلي، ولجنة الدراسات البشرية والتي كان مقرها دار الوثائق القومية، وكذلك رئيساً للجنة تسمية شوارع الخرطوم.⁽⁴⁾

أيضاً شارك البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم في كثير من مجالس المؤسسات التعليمية منها جامعة ام درمان الإسلامية وجامعة الخرطوم ثم مجالس كليات الآداب بجامعة الخرطوم وعضو مجلس كلية الإقتصاد والعلوم الاجتماعية وعضو في مجلس معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ومجلس دار جامعة الخرطوم للنشر. وقد رأس

محمد ابراهيم ابو سلم الجمعية التاريخية لسنوات عديدة، كما أنه كان عضواً بالجمعية الفلسفية السودانية، وعضواً بالمجلس القومي للبحوث، وعضواً بالمجلس القومي لرعاية الآداب والفنون الذي وضع مسودة قانونه، وحين أنشأ المجمع اللغوي السوداني تم إختياره لعضويته كأحد أنشط الأعضاء العاملين من العلماء الأخيار.

مشاركاته الخارجية:

لم تكن مشاركات البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم داخل السودان فحسب بل تعدته إلى خارج الحدود فقد كانت له مشاركات في المؤسسات التعليمية في كثير من دول الخليج والمغرب العربي والنرويج محاضراً واستاذاً زائراً، فضلاً عن مشاركاته في المنظمات المهنية فقد كان خبيراً لدى اليونسكو وعضواً في المجلس الدولي للأرشيف. ويعد أبو سليم من مؤسسي الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف، فقد شارك محمد ابراهيم في المؤتمر التأسيسي للفرع الي انعقد في روما في الفترة من 20 - 29 يوليو 1972م والذي أُنْتُخِب فيه الدكتور محمود الشنيطي من مصر ليرأس الإجتماع والبروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم نائباً له. وفي هذا الإجتماع تم إنتخاب المكتب التنفيذي للفرع وأُنْتُخِب فيه البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم أميناً عاماً للفرع لمشاركته الفاعلة في ذلك الإجتماع التي أظهر فيها حنكته وخبرته الإدارية في المجال. وافق المجتمعون في ذلك الإجتماع على أن يكون مقر أمانة سر الفرع الدائمة في مدينة بغداد، وأعرب الحاضرون بإرتياح عن شكرهم لممثل جمهورية السودان لوقوفه الداعم لتوحيد الصف العربي ويسجلون بسرور وإعتزاز كلمات المندوب العراقي التالية:

«أتقدم بالشكر إلى جميع الحاضرين، وعلى الأخص ممثل جمهورية السودان على موقفه الذي يعتبر دليلاً قاطعاً على عدم التفريق بين العرب وعلى أن عواصم البلاد العربية كلها في مرتبة واحدة».

وقد استمرت الدورة للمكتب التنفيذي اربع سنوات من 1972م حتى 1975م، ثم تم إنتخاب مكتب تنفيذي للدورة الثانية 1975م - 197م وكان البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم رئيساً لهذه الدورة.⁽⁵⁾

الخانمة:

وختاماً كان البوفيسور محمد ابراهيم او سليم أو « شيخ المؤرخين » كما يطلق عليه رصفاؤه، مؤرخاً وباحثاً وعالمياً وإدارياً لا يشق له غبار، وقد ترك إرثاً تاريخياً وثقافياً ضخماً، وخاصة في تاريخ المهديّة الذي يعتبر حجة فيه، علاوة على مجال الوثائق والتوثيق، أضف إلى ذلك أنه كان إدارياً من الطراز الأول وقد ظهر ذلك جلياً في إنشائه وإدارته وتطويره للأرشيف القومي السوداني الذي أصبح في عهده أهم وأعرق الأرشيفات أفريقيّاً وعربياً، فضلاً عن ترأسه ومشاركاته في الكثير من المؤسسات العلمية واللجان الإدارية داخليّاً وخارجياً.

رحل البروفيسور محمد ابراهيم ابو سليم في 7 فبراير 2004م بعد أن خلف سيرة عطرة في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والإدارية في السودان.

الهوامش:

- (1) دار الوثائق القومية، الكتيب التعريفي، الخرطوم، 1980م.
- (2) عبود سالم الألوسي، الفرع الإقليمي العربي للمجلس الدولي للأرشيف، دار الحرية للطباعة بغداد، 1977م.
- (3) عواطف عمر عبد الله، البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم، الخرطوم، 1998م.
- (4) محمد صالح يعقوب، أبو سليم في مأتمه الحزين ... ، صحيفة الرأي العام، 12 فبراير 2004م.

الفصل الثامن

محمد إبراهيم أبو سليم و منهجه في
كتابة التاريخ

محمد إبراهيم أبو سليم ومنهجه في كتابة التاريخ

كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة بحري

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير

مقدمة:

يعتبر محمد إبراهيم أبو سليم رائد من رواد علم التاريخ والتوثيق في السودان وقد تتلمذ في جامعة الخرطوم على شيخ مؤرخي السودان البروفيسور مكي شببكة والبروفيسور بيتر هولت المدير الأسبق لدار الوثائق المركزية. ولعل أهمية المساهمات العلمية والثقافية لـ "أبو سليم" تنبع من مفهومه ورؤيته المتقدمة للتاريخ كعلم. والرجل له منهجه وأسلوبه المتميز في الكتابة التاريخية، فضلاً عن فهمه العميق للشخصية السودانية. وقد فطن أبو سليم منذ فترة باكورة من خدمته بمحفوظات حكومة السودان ودار الوثائق المركزية إلى كتابة التاريخ بصورة علمية موضوعية لعدة أسباب أبرزها في نظري: أهمية التاريخ في البناء الثقافي والتوجه الأخلاقي والقومي للأمة، الثغرات العديدة في الكتب التي تعني بالدراسات التاريخية عامة وبتاريخ السودان خاصة، علاوة على تطور مفهوم التاريخ نفسه حيث لم يعد مجرد حكايات أو أخبار أو سير تدور حول أحداث في معظمها سياسية أو حربية ولكنه أصبح يعني مجموع النشاطات التي كان يقوم بها الإنسان في الحياة والبيئة والمجتمع مرتبة حسب تسلسلها الزمني.

مؤلفات أبو سليم والمنهج:

تناول البحث أدناه بالتحليل بعض مؤلفات أبو سليم بغية تبيان أسلوبه في المعالجة المنهجية لكتابة تاريخ السودان. كتب أبو سليم مؤلفات عديدة في مختلف مجالات الدراسات التاريخية ليس هذا مجال بسط القول فيها، وقد كتب في:

- التاريخ السياسي: حقق الكثير من مؤلفات الثورة المهدية ومن أبرز مؤلفاته فيها "المرشد إلي وثائق المهدية" والحرب الحبشية - السودانية (بالاشتراك مع محمد سعيد القدال).

• التاريخ الثقافي: ولعل من أهم مؤلفاته في هذا الجانب "الحركة الفكرية في المهديّة" و "أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان" و "الشخصية السودانية".

• التاريخ التقني: ومؤلفه "الساقية" مثال جيد لهذا النمط من الدراسات التاريخية المهمة.

• التاريخ الاجتماعي: وكتابه الموسوم بـ "تاريخ الخرطوم" نموذجاً لهذا المجال.

• التاريخ القانوني: وعرض فيه أبو سليم معلومات عن الأرض وملكيّتها وريعها في السودان القديم واطر في هذا المجال ثلاثة مؤلفات هي "الفونج والأرض" "الفر والأرض" و "الأرض في المهديّة"، فضلاً عن تحقيق العديد من المؤلفات في مجالات الأدب والتراث.

وسأكتفي هنا بعرض صورة موجزة دوغما إخلال لبعض مؤلفاته المهمة بغية التعرف على منهجه وأسلوبه في الدراسات التاريخية والتوثيقية.

المرشد إلى وثائق المهديّة:

المادة العلمية لهذا الكتاب هي إحدى فصول الأطروحة العلمية التي نال بها أبو سليم درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة الخرطوم عام 1966م والمعنونة بـ "مخطوطة مجموعة النجومى (مخطوطة توشكى)، وقام بتنقيحها وأخرجها في كتاب نشرته له دار الوثائق المركزية بعنوان "المرشد إلى وثائق المهديّة" في مارس 1969م. وتتبع أهمية هذا الموضوع من أنه أول عمل متكامل لتوثيق تاريخ الثورة المهديّة (1881-1898م) سيما أن الوثائق المتعلقة بهذه الفترة - كما أبان المؤلف - ظلت لفترة طويلة مبعثرة في أصولها وفي بطون مصنفات الرسائل دون أن يتوفر جهد لحصرها في مصنف واحد وفهرستها بطريقة علمية.

إستند محمد إبراهيم أبو سليم في دراسته لوثائق المهديّة على العديد من المصادر أبرزها تلك التي وجدت في المتحف البريطاني، جامعات درم وكمبردج (بريطانيا)، جامعة ييل (الولايات المتحدة)، دار الوثائق الفرنسية، المكتبة الأصفية بحيدر آباد (الهند)، محفوظات دار الوثائق المركزية بالخرطوم، جامعة الخرطوم، علاوة على وثائق مهمة تحصلت عليها الهيئة القومية للوثائق بالإهداء من العديد من الشخصيات السياسية والإجتماعية المعروفة في السودان.

والمنهج الذي إتبعه أبو سليم في دراسته لوثائق المهديّة كما يستبان من مؤلفه يتمثل أولاً في: وضع فهرس لكل مصنف للرسائل أو مجموعة الوثائق وثانياً: وضع قائمة لمحتويات كل المصنفات وذلك بكتابة المرسل إليه وأول الوثيقة ثم وضع المصادر المختلفة وأخيراً وضع الملخصات والشروح في الدراسة الدقيقة لكافة المصادر والمرجعيات.

الحرب الحبشية -السودانية:

كتب هذا المؤلف (نشرته دار الجيل، بيروت عام 1981م) بالإشتراك مع المؤرخ محمد سعيد القدال، وهو تحقيق لكتاب "الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش" عن نسخة غير أصلية. سجل فيه المؤرخ إسماعيل الكردفاني انتصارات الثورة المهديّة على الحبشة. وتكمن أهمية هذا التحقيق في أن النسخة التي تم الحصول عليها كانت منسية لفترة غير قصيرة في مكتبة درم البريطانية. ولم يرد ذكر للمحافظة في كتابات المؤرخ المهدي محمد عبد الرحيم أو سلاطين باشا في كتابه "السيف والنار" أو حتى "نعوم شقير" الذي عثر على مخطوطة "الطراز المنقوش..." ولكنه لم يعرها إهتماماً ظناً أنها تكملة للكتاب الأول لإسماعيل الكردفاني الموسوم بـ "سعادة المستهدي في سيرة الإمام المهدي".

تقع المخطوطة في 182 صفحة قسمت إلى خطبة ومقدمة وثلاثة أبواب. والمنهج الذي إتبعه أبو سليم والقدال في تحقيق مخطوطه "الطراز المنقوش" تم التنويه إليه في صدر الكتاب ويتمثل في التحقيق عن طريق السياق ومادة الكتاب والأسلوب بتغيير أسلوب الكتابة حيث جرت العادة عند كتاب القرن التاسع عشر إستخدام الجمل الطويلة والمحسنات البديعية، فتم العدول عن ذلك بتقسيم الكلام إلى جمل تقسم إلى فقرات تباعد بينها فواصل. ولكن في نفس الوقت ترك المحققان أسلوب الرسم الإملائي دون تغيير يذكر عدا الهمزات والألف الممدودة وأسماء الأعلام والمدن.

الساقية

يؤرخ هذا الكتاب لوجه مهم من التاريخ التقني الزراعي في السودان. والكتاب من القطع المتوسط، يبلغ 358 صفحة، نشرته جامعة الخرطوم، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - 1980م بمناسبة اليوبيل الفضي "لدار الوثائق المركزية".

يعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات أبو سليم إذ تعددت مصادر المعلومات فيه مما ساعد على إيراد صورة شمولية للساقية ليس فقط بوصفها تقنية تقليدية بل بإعتبارها قيمة مجتمعية تتجاوز أهميتها المردود المادي لترتبط بالعرف والمعتقدات المحلية ونظرة الإنسان السوداني للحياة والبيئة وعلاقته بالآخر.

تجدر الإشارة إلي أن المؤلف استند في دراسته للساقية على ثلاث وثائق تاريخية، وأربعة وسبعين مصدراً ومرجعاً عربياً، وثلاثة وعشرين مرجعاً أجنبياً، فضلاً عن المعاجم والموسوعات والروايات الشفهية.

ينقسم الكتاب إلي أحد عشر فصلاً تشمل مواضيعاً شتى عن الساقية وأوجه المقارنة بينها وبين آلات الري الأخرى كالناعورة والشادوف والنطالة والطنبورة والغوارة مع بيان مسمياتها وتفاصيل أجزائها. ويستفاد من هذه الدراسة أن تاريخ دخول الساقية السودان يتزامن والفترة النهائية من العهد المروي حوالي القرن الثاني الميلادي. وأنها أي الساقية كانت السبب الرئيسي للنهوض الإقتصادي في ذلك الزمان ولعبت دوراً أساسياً في تعمير منطقة النوبة السفلي والعليا خلال العهد المروي.

أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان:

صدر هذا الكتاب من دار الجيل ببيروت عام 1991م في 311 صفحة من القطع العادي. وتتبع أهميته من أنه يؤرخ لأعلام سطعوا على إمتداد فترة غير قصيرة من التاريخ العلمي والثقافي للسودان تنيف عن مائة وخمسين عاماً (1821-1980م) وتغطي عهود متباينة بدءاً من الحكم التركي- المصري (1885-1981م)، فالعهد المهدي (1885-1898م) فحقبة الحكم الثنائي (1898-1956م) وفترة ما بعد الإستقلال حتى بداية الثمانينات من القرن الماضي.

استعرض أبو سليم في هذا الموقف السيرة الذاتية وأهم المساهمات الفكرية لبعض الشخصيات في تاريخ السودان المعاصر والحديث. ويلاحظ أن الكاتب لم يلتزم بالتسلسل الزمني في إيراد مساهمات الأدباء والعلماء الذين تم الحديث عنهم، بيد أنه تحدث بإستفاضة عن كل واحد من هؤلاء. وإذا قصدنا التراتيبية الزمنية فأولهم محمد ود ضيف الله (1727-1781م) الذي عاش في عهد سلطنة الفونج وصاحب كتاب "الطبقات" الذي اشتهر باسمه وقام بتحقيقة مجموعة من الباحثين آخرهم يوسف فضل حسن عام 1971م. وتحدث أبو سليم عن الفقيه أحمد السلاوي المغربي المالكي

الذي تولى الإفتاء الشرعي في العهد التركي (1826م) ولعب دوراً مقدراً في نشر العلم والمعرفة في السودان وكان له أتباع ومريديون. ومن المخطوطات المهمة التي حققها أبو سليم "الإبانة النورية في شان صاحب الطريقة الختمية" لمولانا محمد عثمان الميرغنى الختم صاحب "الطريقة الختمية" (1890م) مبيناً الفرق بينها وبين الطريقة الميرغنية. وتناول في حديثه سيرة المؤرخ المهدي إسماعيل عبد القادر الكردفاني صاحب المخطوطتين "سعادة المستهدي في سيرة الإمام المهدي" و"الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبش". ودلف أبو سليم للحديث عن المؤرخ المعروف نعيم شقير صاحب المساهمات المعروفة في "تاريخ السودان وجغرافيته" مبيناً دوافعه وأسلوبه في الكتابة وما يعتوره من أوجه قصور.

وكشف أبو سليم في كتابه السابق عن حياة أحد المثقفين السودانيين الذي برز نجمه في مطلع القرن العشرين وهو الفقيه الأديب أحمد يوسف الرباطي صاحب كتاب "النخيل". وتحدث عن شخصيات هامة لعبت دوراً بارزاً سواء في المجال السياسي أو الثقافي في السودان من أبرزهما: رئيس الوزراء الأسبق محمد أحمد محجوب والمؤرخ مكي شيبكة كاشفاً عن جوانب غير معروفة في حياتهما الخاصة وأسلوبهما في التعامل الاجتماعي مع الآخرين.

تاريخ الخرطوم:

يقع هذا الكتاب في 216 صفحة وصدر عن دار الجيل ببيروت عام 1991م الطبعة الثالثة. وهو عبارة عن مجموعة من المقالات نشرها أبو سليم في مجلة "الخرطوم" وبعض الأوعية الثقافية الأخرى في الستينات والسبعينات من القرن الماضي. ويتطرق فيها المؤلف للحديث عن الخرطوم (العاصمة المثلثة) مبيناً تاريخ نشأتها والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية التي إعترتها عبر أطوال التاريخ (1956-1966م). وتبرز أهمية هذه الدراسة التاريخية والجغرافية (الحضرية) في أنها استندت على معلومات وثائقية فضلاً عن مصادر ومراجع نادرة مما يدل على دقة المؤرخ أبو سليم في البحث والإستقصاء. وكشفت محتويات هذا الكتاب عن معلومات لا غنى عنها للمهتمين بالتخطيط وجغرافية وتاريخ مدينة الخرطوم.

الشخصية السودانية:

كتيب صغير الحجم يتطرق لموضوع كبير في غاية الأهمية وهو الهوية السودانية،

أصدرته دار جامعة الخرطوم للنشر عام 1979م. والمؤلف عبارة عن مقالات جمعت في أوقات متباعدة ولأهداف متباينة كما ألحقت بهذه البحوث مشكلة المعالیا والرزيقات كنموذج لطبيعة الشخصية السودانية. وضمنت المقالات مواضيع أخرى خاصة بالعُرف والأرض ووظيفتها في المجتمع. وأبان أبو سليم في هذا الكتيب العوامل التي شكلت الشخصية السودانية (البيئات المتعددة والعامل الحضاري الرابط بينها). وتطرق الكاتب إلى الظروف العقديّة والسياسية والثقافية التي أفرزت الشخصية القومية السودانية. وإختتم البحث بطرق لأهم المشكلات التي تشكل تحديات للشخصية السودانية. والمتمثلة أولاً: في التوافق بين الثقافات الأفريقية والإسلامية والعالمية والمتمثلة ثانياً: في التصدي لمشاكل التحديث الحضاري وأخيراً إعطاء مزيد من الفرص لعملية التوحيد مع الحفاظ على الخصوصيات البيئية والثقافية لكل المجموعات السكانية التي تقطن السودان.

الخاتمة:

مما تم إيرادہ آنفاً، فقد اتبع أبو سليم أسلوب التكامل المنهجي (تداخل المساقات) في دراساته الفكرية والتاريخية فلم تقتصر مرجعياته على الوثائق بل تتعداها مستفيداً من مناهج العلوم السياسية والآثار والفولكلور والإجتماع ومدعماً كل ذلك بالمصادر والمراجع العربية والإنجبية، فضلاً عن الموسوعات والمعاجم والروايات الشفاهية.

طرق أبو سليم مواضيع عديدة تشمل التاريخ السياسي والعلمي والتقني والإجتماعي والثقافي سيما وأن مفهومه كان متقدماً للتاريخ ويتطابق تماماً مع مقولة أحد المفكرين الألمان في أن "التاريخ هو جماع كل الممكنات التي تحققت" ومما يلزم التنويه به أن "أبو سليم" كان كلفاً بالتحليل والتدقيق والغوص وراء المعاني وتحليل أعماق النفس الإنسانية.

خلاصة القول، إن محمد إبراهيم أبو سليم كان موسوعياً في كتابة التاريخ وتوثيقه، جمع الراحل في ذاكرته معرفة متكاملة بالتراث السوداني والتراث العربي-الإسلامي، فتوفرت فيه كل شروط المؤرخ والمحقق المتميز سواء من الناحية الأكاديمية أو التقنية. ويتسم أسلوبه بحيوية اللغة وجزالتها، فكتب بعربية قشبية تتميز بالعدوبة والسلاسة.

1. أبو سليم، محمد إبراهيم 1969م المرشد إلي وثائق المهديّة. منشورات دار الوثائق المركزيّة، الخرطوم 1979م
2. الشخصية السودانيّة. دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم 1980م
3. الساقية. منشورات معهد الدراسات الأفريقيّة والآسيويّة. جامعة الخرطوم
- أبو سليم ، محمد إبراهيم، القدال محمد سعيد 1980م
4. الحرب الحبشية- السودانيّة. دار الجيل، بيروت
5. أبو سليم ، محمد إبراهيم 1981م أدباء وعلماء ومؤرخون في تاريخ السودان.
- دار الجيل، بيروت 1991م تاريخ الخرطوم. دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة

الملاحق

في رثاء أبو سليم

في رثاء أبو سليم :

أ. د محبوب محمد آدم

قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

(1)

من الغريب اني لما كان علي أن ارثيه يوم تأبينه في مدينة الرياض وجدت الشعر
أكثر حضورا لانفعالي حينئذ.. وظننت على غفلة مني أني فيما قدمته محسن..
وما أكثر المواقف التي نفتقده اليوم في أسي.. ولكن لا يحسن بنا أن نقول بغير
ما يرضيه تعالى منا في ذكرى أحبابنا رضى بقضائه..
وقد دفعت لمراجعة أوراقى حين نبهني أحدهم في تجمع اجتماعي أن من
قدم لي الماء من أفراد الأسرة.. فحزنت أني لم أكن أعرف ذلك.. وتذكرت موقفا للخال
ابوسليم مع ابني الذي كان يومئذ في حدود العاشرة.. فقد سلم عليه بحرارة وحنو..
وقال له : اتعرفني؟ أجاب الفتى في غير تحفظ بالنفي.. فارتفع صوته بالبكاء وهو
يردد إذا كان أبناؤنا لا يعرفون من نكون.. فكيف نتوقع من غيرهم..!!
و(جلست مع هلوسة حمى الملاريا ارجو ان اكتب شيئا افضل مما كتبته من
قبل.. فلما يئست دون ما كنت ارجو..) رأيت أن أعيد بعضا مما كتبته عنه.. فعفوا..

وداعاً أيها الخال العزيز

ما شعرتُ بعجزى في جمع أفكارى وتحريرها من قبل كما أفعل الآن .. وإن
كنت أزعم أني أكثر الحاضرين إحاطة بما ينبغي عليّ قوله ..

يا خال ، مالي قد عجزتُ عن المقال ،

ما بال أودية الحديث تضيق بي ،

وتهوج في صدري زوابع من حديث الذكريات ..

ملأى قِرابي بالشجن ، مهزوزة الألحان ، قائمة الصور .

وأطل أبحث في زوايا الذكريات ..مساحة للقول ،
وفي ممرات المواقف لحظةً أو قصةً ، أو من نواذره المثيرة طرفة .

* * *

دعني أعبر عن أسمى يجتاحني منذ انتهيت إليك في لقائنا الأخير ،
لما رأيت رجفة اليدين في السلام ،
لما رأيتك صامتاً ،
لما رأيت الجبل الأشمّ باكياً ،
لما رأيت الأسد الهصور ذاوياً .

* * *

وتدافعتُ صاحبة في حلقي العبرات ..
من أين أبدأ الحديث ؟! ماذا أقول ؟
يا للأسى ، أنا عاجز !
وأنا الذي روضته دهرًا ، وأجدته في كل حال !
علمتني يا خالٌ كيف أقول ..
علمتني فنَّ الحديث ، وحسنه ، ومتى أقول ..
فلمّ التهيبُ والذهول . ..

* * *

وأغرورقتُ عيناى بالدموع .
فجاءني ، كما عهدتُ ، صوتك المهيب واهنا :
أما تراني طيباً ؟ أما تراني قد عبرت محنتي ؟ أما تراني ...
ثم مضيت باكياً ...
وحينما تراجعْتَ خطاي عائداً .. سمعت صوتاً واهنا :
عُدْ يا بني ..
ومضيتَ ...
نعم مضيت .

* * *

كان أول عهدي بك علقه.. لأنني أطعت جدتي حين كلفتني أن أوقظك أول صباح في إحدى عطلاتك الصيفية ، فلجأت خوفاً منك إلى صفيحة فارغة أطرقها بالقرب منك.. هذا كل ما حدث ! هذا ما أذكره عن الواقعة ، أو ما ذكرتيه أختكم في بعض ما تؤكد به شقاوتي لما كنت في عمر حفيدها محمد الفاتح ، إن قسوت عليه، في حضورها .

وعلاقة أشد ضراوة لما تخلفت عن الخلوة .. ولم أتخلف إلا لخوفي أن تفوتني لحمة الكرامة بيمن قدومك .. ومع ذلك كنت مصراً حتى آخر لقاء جمع بيننا أن تدعوني (سيدي محبوب) كما أسمتني جدتي حباً في أسيادها .. وخلال رحلتي معك ، ومنذ أن لجأت إلى دارك الرحبة ، المكتظة دوماً بقُصّادك من الآل آنأ ، ومن الأصدقاء والندماء ، وجدتُ من رحابة صدرك لي متسعاً ، ومن مكتبتك غذاءً ، ومن أطايب الطعام ما كنت أنافس به بنيك التهاماً ، وما أشعرتني لحظة أني لست منهم ..

وما اضطررنا في حياتك أن نعبر عن حبنا وتقديرنا لك ، فمن يشك في هذا !.. لقد كفانا الزعيم إسماعيل الأزهري حين دخل علينا ، بلا استئذان ، في نادي أبناء السكوت والمحس بالسجانة (النهضة لاحقاً) ، ونحن نحتفل بنيلك درجة الدكتوراه، وقال بطريقته الخاصة : إن الأمة لأكثر فرحاً وسعادة منكم بنيله هذه الدرجة العلمية.. ويوم أن احتفلت بك الانصار : حبس الناس أنفاسهم وهم يشاهدون رجلاً يسنده أبنائه، لا تكاد رجلاه تصل الأرض ، يتقدم نحوك شاقاً بصعوبة بالغة طريقه بين جموع الأنصار ، لكنه ما أن وقف أمامك دفع بعنفٍ بنيه ، وجمع كل قوته ليرفع كفه في تحية عسكرية ، ثم دار خلف دور ..

(2)

والعين دامعة بما سطرت أماني .. والقلب مفعوج على الخال الوالد .. ارجو ان يسمح لنا باعادة ما سطرته قبلا ونحن متعبون بكلمات الاخت الشكلى .. وهل يفي ؟

أبو سليم .. وأماني..

عندما قرأت لأختي أماني عنوان مقالها (السابع من فبراير) كان التاريخ المذكور أقوى من أن أبحث سبباً لما أحاط بي من الانقباض ، وتوزع النفس بين دفتي

الحزن واجترار الذكرى .. ولكن الأديبة المكلومة نَحَت في تناولها شِعْباً جديداً وهي بين ساحلي الحزن الأليم والفرح الطاغي بقدم طفلها الاول .. وداعاً واستقبالاً .. مضى عنها أحب الناس فذهلت عن نفسها .. وقدم عليها في اليوم نفسه أحب الناس .. ففقدت توازنها.. لقد كان الموقف عنيفاً .. فجاء تعبيرها كما شاء الموقف صادقاً ونبيلاً .. نبضاً حياً.. ودفقة شعورية اختارت لنفسها ما يليق بها من مفردات .. وما يناسبها من عبارات ..

ولم يكن موقفنا بين شاطئي الحزن الجامع والانبهار بروعة الأداء مما يحيط به كلمات عزاء أو عبارات استحسان .. وخشنا في السكوت ضرراً .. وفي التعبير عجزاً .. فكان مما كتبنا : " الشعراء يعرفون كيف يواسون الكبار .. لأنهم يعرفون ما الذي يريدونه .. أحدهم قال .. هناك محا ذاك العزاء المقدم .. لأنه صار ملكاً عند فقد أبيه.. والسلطة مظنة النسيان .. وجفاء القلب ..

ولكن الأمر عندك يا أختاه يختلف .. فللهنا طعمه ... وللعزاء لذعه .. وما تذوقتيه في لحظات الفرحة كان مذاقه حلواً .. لأنه بعث بمقدار العناء .. وفيه الرجاء .. وكان الفقد رزء أمة .. فيإلام تنحازين !!..

وبكينا معك .. لا مواساة .. وأنت جديرة بالانحياز إليك محبة وتقديراً .. ولكننا كنا مثلك ننتظر من يطلق عنا بركان الأسى .. ويزيح عنا كآبة الفجيعة .. وما سمعناك قبلاً إلا زدتنا حرقة .. وكذلك أدمى نسيج الوالدة ونواحها منا القلوب .. وسمعتك اليوم فطيت منا الخواطر .. وأسكنت الفؤاد هديره .. ولعلك إذ استظلمت اليوم بنفحات الإيمان .. وارتويت من واحة القضاء .. ولذت بعرش الرحمن : وجدت نفسك واستعدت سكينتك وطففت بنا في عوالم رحبة من الفيوضات .. فانسابت كلماتك تبرئ جروح قلوبنا .. فلك الله يا أختاه .. !!

أخييتي ...

من الناس من نحس بفقدهم إذا مضوا عنا .. ومنهم من يفرضون عليك حبههم وهم معك .. أو غابوا عنك .. وقليل ما هم .. وإن رزئنا فيه بحجم حبنا له .. عفوا .. بقدر حبه لنا .. ولقد كان عظيماً .. ولكننا عجزنا أن نعبر بقدر إحساسنا .. ولكنهم قالوا إن للشمس سطوة تعشي النظر .. وشدة الألم تفقد الاحساس .. ولعلنا مارسنا العجزين

.. مع عجزنا في تفقد أطراف الكلام .. وعجزنا في أن نلحق بك .. وما حاولنا .. وكيف لنا !! مع طوفان مشاعرك .. وبركان آلامك .. "

وحسبت أني طويت معك صفحة .. فإذا بك في صفحات كتابك الأخير تقدمين لنا نبضات قلبك .. زفرة وعويلاً .. فجددت فينا أحزان فجيعتنا .. فاستعدنا معك :
(كلمات على ضفاف أبوسليم)

و (روح تطوف)

و (قبر وطيف ومعركة)

و (إلى أبو سليم)

و (في ذكرى رحيله الثالثة)

وختمت بها حرك وجداننا قبلاً (السابع من فبراير) ..

إنها مقالاتك في وداع (الجنرال) أحسنت أنت في ملزمة جراحك فيها .. وسكبت فيها فيض إحساسك .. وفجرت فينا براكين الأسى ..

وأحسن الوليد (ونعم الفتى هو) في إخراج كلماتك في الكتاب الأخير لإصدارات مركز أبوسليم للدراسات .. وإنا لنحمد له فعله .. وإنه لكبير ..

لك .. وله .. نرفع التمام ..

ولك .. وله .. تقديرنا وحبنا ..

ألا لكما الصبر كله ..

ألا له من رحمة الله ما يكلؤه .. ويفيض عليه أمنه وسلامه .. ويجعل منزلته في عليين .. في جنات ونهر .. في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

اللهم آمين ..